تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

مفهوم الهجرة في القرآن الكريم

أ. د. الشاهد البوشيخي

ص 8 - 9

الهجرة المستمرة

محمد يعقوبي خبيزة رحمه الله تعالى

ص 9

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

3 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم

المحجة

AlmahajjaJournal almahajjafes@gmail.com www.almahajjafes.net

نصف شهرية جامعة المديرالمسؤول : د. عبد العلي حجيج 04 محرم 1437 هـ - 18 أكتوبر 2015م العدد 444

افتتاحية

العمل الاجتماعي ذلك الثغر المنسي

الإسلام نظام اجتماعي بامتياز، ولا نحسب أن نظاما أولى شؤون الإنسان الفردية والاجتماعية عناية أسمى وأعلى، وأهدى وأقوم، وأجدى وأنفع مثلما فعل الوحي الإسلامي؛ لقد تولى الله جل جلاله وضع أحكام التعامل الإنساني حيث بين سبحانه وجوه الكسب والإنفاق، ومصاريف الإنفاق، ووجوه البر والإحسان،﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(النساء :36). وبين سبحانه المقاصد من الكسب ومن المال، وكثيرا ما أناط الله تعالى دخول الجنة بمدى إحسان العبد لعباد الله تعالى، كما جاء في قوله ﷺ : «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ». وقرن النبي ﷺ صحبته في الجنة بالإحسان إلى اليتيم فقال ﷺ : «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ»، وسوّى تعالى بين الجهاد العسكري لدفع الأعداء وبين الجهادَ الاجتماعي لتأمين الجبهة الداخلية من أن تنخرها الصراعات والأحقاد والضغائن؛ فقال عليه السلام: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار»، وحث على التضامن واعتبره واجبا، واعتبر الشرع كذلك إنقاذ الغرقى والهلكى للقادر على ذلك واجبا كفائيا والمقصر في ذلك مع القدرة متسببا في القتل والواجب الكفائي أقوى وأعظم درجة من الواجب العيني.

ولقد أقامت الأمة نظامها الاجتماعي على أساس التكافل والتضامن، وأنشأت لذلك نظام الوقف والهبات والصدقات والتبرعات والكفالة مما يسهم في تعليم أبناء الأمة ويحافظ على استمرار الدين والعلم في الأمة، ولولا تلك الصور من العمل الاجتماعي الجاد ما بقي للعلم ولا للدين أثر ولما كانت للأمة ريادتها الحضارية.

ولقد أسهم العمل الاجتماعي في تاريخ الأمة في إنقاذ الفئات الاجتماعية الفقيرة وانتشالها من براثن الجهل والتخلف والفقر، فكم من يتيم وفقير وعابر سبيل أنقذه العمل الاجتماعي والخيري فترقى في مدارج التعليم والتعلم حتى صار من المبرزين في المجتمع، ومن القادة الصالحين.

لقد كان العمل الاجتماعي عقيدة إيمانية راسخة في نفوس المسلمين، نسجت من علاقاتهم الاجتماعية أروع مثال في التضحية في سبيل الآخرين، وأروع نموذج في التكافل والتضامن والتلاحم في السراء والضراء، وأجلى صور من صور الحياة الإسلامية التي تختفي فيها الأنانية والأثرة، والكبر والاستعلاء.

ولقد تعددت مجالات العمل الاجتماعي تعددا شمل مختلف جوانب الحياة الاجتماعية: من تعليم، وصحة، وتغذية، وإعانات أسرية، داخل التجمع السكني الواحد أو بين التجمعات السكنية المتنوعة: من حواضر وبوادٍ، بل تعدى ذلك إلى مناطق بعيدة.

والأمة اليوم أشد ما تكون في الحاجة إلى إحياء روح العمل الاجتماعي وتوسيع نطاقه، وتعميم آثار الخير فيه...

فها هم المسلمون في أفريقيا تطحنهم رحى الجوع والحرب والتنصير والتهجير وها هم المسلمون في آسيا عددهم أكثر من عدد المسلمين العرب ومع ذلك هم مجرد أقليات لا حقوق لهم بل يتعرضون للإبادة الممنهجة والتهجير والتفسيخ.

وها هم أبناء سوريا والعراق يُهَجَّرون ويتعرضون لأبشع صور التنكيل والتهجير ولا تتلقفهم إلا محاضن التنصير في أوروبا.

وها هم أبناء الأمة في كل بلدان العالم الإسلامي وقد أصبحوا هدفا مباشرا للفقر والجهل والأمراض والمسلمون ممن أفاء الله تعالى عليهم منشغلون عنهم.

وها هي مؤسسات الأمة التعليمية والاجتماعية على شفا الانهيار وقل من يأخذه الوعي أو يتملكه الإحساس بالواجب.

وأخيرا لا نملك إلا أن ندق جرس الإنذار بأن حاجة الأمة إلى العمل الاجتماعي كبيرة لكن حاجتها إلى من يُقِيمُه ويقوم به أكبر، وحاجتها إلى المسلم المنفق بماله وجهده وعلمه أكيدة لكن حاجتها إلى المدبر الأمين، والمسير المخلص أوجب وأوكد.

التفقه في الدين دلالات ومقاصد

ص 2

التدرج في تغيير المنكر منهج نبوي

ص3

مذكرة وزارية تعزز مكانة اللغة الأجنبية

ص 15

المسجد الأقصى المبارك: الهوية والعقيدة

ص10

التفقه في الدين دلالات ومقاصد

ذ. ميلود الخطاب

إن واقع الأمة اليوم غير مرض بسبب فشو الجهل بين أهلها، وزهدهم في العلم الشرعي، والمطلع على تاريخ أمة الإسلام يدرك بجلاء أنها كانت متفقهة ولا يمكن لها أن تكون بغير التفقه في الدين، لأنه ضرورة شرعية وحضارية، وهو علامة الخير؛ و»من يرد الله به خيرا، يفقهه في الدين»، ويوفقه إلى حسن الامتثال.

قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُومِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(التوبة : 123)، لقد جمعت هذه الآية بين أمرين عظيمين لا يصلح أمر الدين والدنيا إلا بهما، وهما الأمر بالنفير للجهاد، والأمر بالتفقه في الدين والتحريض عليهما؛ فالدنيا لا تصلح بدون تدين، والدين لا يصلح العباد بدون التفهم والتفقه فيه.

لذلك سنتفيأ ظلال هذه الآية الكريمة قاصدين بيان ما فيها من جليل المعاني، وهنا تجدر الإشارة إلى سياق الآية، وإلى معاني بعض مفرداتها ومفاهيمها، ليستقيم لنا توجيه الآية بما يخدم قصدنا في بيان معنى التفقه في الدين وشيء من مقاصده ولوازمه. فغالب ما تقدمها من الآي جماعه تحريض على الجهاد وتنديد على المقصرين في شأنه، ودعوة إلى الصدق، وختم بتبرئة أهل المدينة والذين حولهم من التخلف عن رسول الله ﷺ في الجهاد ساعة العسرة، ثم يعقب هذا التحضيض العميق على النفرة للجهاد بيان لحدود التكليف بالنفير العام، وقد اتسعت الرقعة وكثر العدد، وأصبح في الإمكان أن ينفر البعض ليقاتل ويتفقه في الدين؛ ويبقى البعض للقيام بحاجيات المجتمع كله من توفير للأزواد ومن عمارة للأرض، ثم تتلاقى الجهود في نهاية المطاف(1) تفقها ونفيرا وإصلاحا.

والنفر في الآية: مصطلح يستعمل غالبا في الحرب والجهاد، وذلك هو المراد به في الموضعين منها، ويجوز أن يكون المراد من النفر في قوله: ﴿لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ نفرا آخر غير النفر في سبيل الله؛ وهو النفر للتفقه في الدين، وقد نقل عن أئمة المفسرين وأسباب النزول أقوال تجري على الاحتمالين(2)، ونحن نستند هاهنا إلى الاحتمال الثاني.

أما الفرقة فهي الجماعة من الناس الذين تفرقوا عن غيرهم في المواطن؛ فالقبيلة فرقة، وأهل البلاد الواحدة فرقة. والطائفة: الجماعة من غير تحديد للعدد، «والذي يستقيم عندنا في تفسير الآية: أن المؤمنين لا ينفرون كافة، ولكن تنفر من كل فرقة منهم طائفة -على التناوب بين من ينفرون ومن يبقون- لتتفقه هذه الطائفة في الدين بالنفير والخروج والجهاد والحركة بهذه العقيدة؛ وتنذر الباقين من قومها إذا رجعت إليهم، بما رأته وما فقهته من هذا الدين في أثناء الجهاد والحركة في ظلال القرآن»(3)، فيتحقق التفقه على الكفاية لعامة المؤمنين على درجاتهم ومراتبهم.

ثم دعت الآية إلى التفقه في الدين وهو بيت القصيد عندنا، وقبل بيان أهميته لابد من بيان معنى الفقه في اللغة والاصطلاح، يقول ابن منظور: فقه: فَقِهَ يَفْقَهُ معناه فهِمَ يفْهَمُ.. وفَقِه فِقْهاً بمعنى عَلِم عِلْماً(4)، وقال الجرجاني: الفقه في اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه، وفي الاصطلاح هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية(5)، فالفقه بمعنى العلم والفهم العميق للشيء، وقد غلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم كما غلب النجم على الثريا والعود على المَنْدَل.

ومنه التفقه؛ فـ«تَفَقَّه الأمرَ»: تفهَّمه وتفطَّن له، ويقال: تفقه فيه؛ فالتفقه في الدين تفهمه، وهو إما فرض على الأعيان؛ كالصلاة والزكاة والصيام، وما لابد منه من المعاملات، أو فرض على الكفاية؛ كتحصيل الحقوق وإقامة الحدود والفصل بين الخصوم ونحوه..

من مقاصد التفقه في الدين تحقيق تقوى الله ومخافته

وأدلة الحث على التفقه في الدين كثيرة، وقد تستعمل فيها ألفاظ ومصطلحات أخرى غير الفقه والتفقه، وهذا دليل على عظيم شأنه، فهو أصل كل خير، وقد دلت آية النفر على وجوبه على الكفاية، «أي على طائفة كافية لتحصيل المقصد الشرعي منه، وأن تركه متعين على طائفة كافية منهم لتحصيل المقصد الشرعي مما أمروا بالاشتغال به من العلم في وقت اشتغال الطائفة الأخرى بالغزو.. ولذلك كانت هذه الآية أصلا في وجوب طلب العلم على طائفة عظيمة من المسلمين وجوبا على الكفاية»(6)، وفي الحديث: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»(7).

والمتأمل في آية سورة التوبة كما تقدم يجدها تكاد تسوي بين النفير للتفقه في الدين، والنفير للجهاد لما لهما من مقاصد عظيمة؛ «ومن محاسن هذا البيان أن نقابل صيغة التحريض على الغزو بمثلها في التحريض على العلم إذ افتتحت صيغة تحريض الغزو بلام الجحود في قوله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الآية وافتتحت صيغة التحريض على العلم والتفقه بمثل ذلك إذ يقول: ﴿وَمَا كَانَ الْمُومِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾»(8)، وهي إشارة قوية إلى أن شأن التفقه في الدين لا يقل منزلة عن الجهاد في سبيل الله، فالأول يقصد إلى بناء دين الأمة وإقامته على أسسه المتينة، في حين يقصد الثاني إلى حفظه وحمايته لها، وكلاهما عمل لتأييد الدين، ولذلك كانت هوية الأمة محفوظة بتحقق هذين المقصدين.

ومن مقاصد التفقه في الدين تحقيق تقوى الله ومخافته، باعتباره معرفة لأحكام الشريعة بأدلتها، وفهما لمعانيها، وعملا بمقتضى ذلك، يورث صاحبه الخشية من الله تعالى، واستشعار معيته في السر والعلن، لأن «الفقه في الدين : فهم معاني الأمر والنهي، ليستبصر الإنسان في دينه، ألا ترى قوله تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ فقرن الإنذار بالفقه؛ فدل على أن الفقه ما وزع عن محرم، أو دعا إلى واجب، وخوف النفوس مواقعه المحظورة»(9).

ثم إن هذه الآية ربطت بين التفقه في الدين والإنذار، بل جعلته مقصدا من مقاصده؛ والإنذار هو الموعظة، فإن من تفقه في الدين علم مآل أعمال العباد خيرها وشرها، فوجب عليه الإخبار بما يتوقع منه شر، وتحذير أهله منه ليتجنبوا الهلاك والخسران، وهو أصل عظيم في الدين يعدي الهدى إلى الحيارى والغافلين.

هذا ولا يخفى أن تحقق تلكم المقاصد رهين بجملة لوازم لا يكون التفقه إلا بها، سواء كانت لازمة للذات أم لغير الذات، فأول اللوازم إصلاح النية لله، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾(البينة : 5)، وعن معاذ رضي الله عنه: أنه قال لرسول الله حين بعثه إلى اليمن أوصني، قال: «أخلص دينك يكفك القليل من العمل»(10)، وهذا ما نحتاج إلى تعلمه في البيت والعمل والمدرسة والجامعة، وفي مراكز القرار حين وضع السياسة التعليمة والتنظير لها.

ثم الخشية والامتثال، فلا قيمة لفقه ولا لعلم غير وظيفي، لأنه لا يجوز أن يوقف به عند مجرد الفهم، لأنه يحمل صاحبه على الامتثال أمرا ونهيا، قال ابن تيمية «كل من أراد الله به خيرا لا بد أن يفقهه في الدين، فمن لم يفقهه في الدين لم يرد به خيرا، والدين ما بعث الله به رسوله، وهو ما يجب على المرء التصديق به والعمل به، وعلى كل أحد أن يصدق محمدا ﷺ فيما أخبر به، ويطيعه فيما أمر تصديقا عاما وطاعة عامة»(11)، وهنا أمر لازم آخر يساعد على الامتثال؛ وهو أخذ الفقه عن أهله العاملين به، لا عن المتفقهين الأدعياء، فإنهم يحسنون الكلام ويسيئون العمل.

وهاهنا لازم آخر من أخطر لوازم التفقه -والذي يغفل عنه الكثيرون- وهو التفقيه، المترتب على الإنذار، إذ «يدخل في معنى الإنذار تعليم الناس ما يميزون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ، وذلك بأداء العالم بث علوم الدين للمتعلمين»(12)، لأن الفقه أولا يأبى أن يكون لازما في سلوك من تحمله بقواعده من الفرقة النافرة، ولأنه لا ينسجم مع روح المسلم الرسالي بطبعه، ولا مع فكره المؤطر بـ«بلغوا عني ولو آية»، ولأنه ثانيا أصل كل خير كما في الحديث، وطبيعة الخير أنه فياض، حين يصدر يعم أهله و من حولهم.

من أهم اللوازم التي لا يمكن أن يتحقق بدونها تفقه الفرقة النافرة في دينها في هذا الزمان؛ وهو الإرادة العليا، وإعداد العدد والعدة: العنصر البشري المؤهل، والمؤسسات العلمية الكفيلة بتخريج الفئة الموكول إليها التفقه في الدين والإنذار والتعليم والتبليغ

ونختم بأعظم اللوازم التي لا يمكن أن يتحقق بدونها تفقه الفرقة النافرة في دينها في هذا الزمان؛ وهو الإرادة العليا، وإعداد العدد والعدة: العنصر البشري المؤهل، والمؤسسات العلمية الكفيلة بتخريج الفئة الموكول إليها التفقه في الدين والإنذار والتعليم والتبليغ، وهي مسئولية القائمين على تأطير الشأن الديني، والمسئولين عن وضع الفلسفة التعليمية، وتنزيل البرامج، ودليله تنكير «طائفة» في الآية الكريمة، فهو «مؤذن بأن النفر للتفقه في الدين وما يترتب عليه من الإنذار واجب على الكفاية، وتعيين مقدار الطائفة وضبط حد التفقه موكول إلى ولاة أمور الفرق، فتتعين الطائفة بتعيينهم فهم أدرى بمقدار ما تتطلبه المصلحة المنوط بها وجوب الكفاية»(13)، لأن رسول الله تولى أمر العلم بنفسه، وهو من بعث في الأمصار صحابة التفقيه، فلا جرم أن كان هذا مؤذنا بوجوب تمحض المسئولين بعلم الدين، والاهتمام بالمسالك الشرعية في التعليم بجميع أسلاكه، وفي جميع مؤسساته الأكاديمية وفي المجتمع المدني، قصد تثقيف أذهان المسلمين، لكي تصلح سياسة الأمة على ما قصده الدين منها.

خاتما إن التفقه في الدين واجب على المسلمين رعاة ورعية على الكفاية، وإن حظ القائم بواجب التعليم تنظيرا وتنزيلا ليس دون حظ الغازي في سبيل الله، فليأخذ المسلم التفقه في الدين بقوة، وليربط الوسائل بالغايات لتتحقق مقاصد هذا التفقه، تمكينا للإصلاح المنشود والصلاح المعهود، والله من وراء النوايا والقصود.

---

1 - انظر : في ظلال القرآن، لسيد قطب، ج4 / ص82.
2 - انظر التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ج 10 / 225.
3 - انظر : في ظلال القرآن، ج 4 /ص 108.
4 - لسان العرب، ج: 13/ ص: 549.
5 - التعريفات ، ص: 175.
6 - التحرير والتنوير، ج 10 / 227.
7 - متفق عليه .
8 - التحرير والتنوير، ج 10 / 227.
9 - الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ج 6 / ص 171.
10 - رواه الحاكم وصححه .
11 - مجموع الفتاوى ، لابن تيمية، ج 28 / ص 80.
12 - التحرير والتنوير، ج 10 / 227.
13 - التحرير والتنوير، ج 10 / 229.

التدرج في تغيير المنكر وإصلاح الفساد منهج نبوي أصيل

ذ. محمد البخاري

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :" سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان»(رواه مسلم)

هذا الحديث أصل من أصول الشريعة في باب الإصلاح والدعوة إلى الله ومحاربة الفساد بجميع أشكاله ومختلف وسائله، فهو منطلق صمام الأمان، وأساس حماية هذه الأمة من الوقوع في الآثام، ما دامت متمسكة به، ومطبقة لمعانيه في مختلف مجالات شؤونها. ويمكن تناول هذا الموضوع من خلال المحورين التاليين:

أولا: مفاهيم الحديث وضوابط إعماله :

لهذا الحديث مفاهيم كبرى، صالحة لكل زمان ومكان، ومستوعبة لكل قضايا الناس مهما اختلفت. فقوله ﷺ : «من رأى منكم منكرا» فعل رأى هنا؛ يشمل الرؤية البصرية للمنكر، ويشمل العلم بوقوعه أيضا، ويؤكد هذا المعنى ما ورد عن النبي ﷺ، حيث قال: «إذا عُملت الخطيئة في الأرض، كان من شهدها فكرهها وقال مرة: أنكرها، كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها».

قوله ﷺ : "مُنْكَراً" المنكر: هو ما نهى الله عنه ورسوله، لأنه ينكر على فاعله أن يفعله. وهو عام في الأقوال والأفعال.

قوله ﷺ : "فليغيره" هذه صيغة أمر تدل على الوجوب، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين، بيد أن الوجوب هنا كفائي في الأصل، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف. ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

أما الضوابط الشرعية لتغيير المنكر فهي مستفادة من عموم نصوص الشريعة، ولا يتسع المقام هنا للاستدلال على كل ضابط؛ لأنني رمت الاختصار والإيجاز ما أمكن وهي كالآتي:

1 – المنكر الذي يجب إنكاره ما كان مجمعا عليه، فأما المختلف فيه فلا يجب إنكاره على من فعله مجتهدا فيه، أو مقلدا لمجتهد تقليدا مقبولا.

2 – ينهى عن المنكر من كان عالما بما ينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء؛ فإن كان من الواجبات الظاهرة، كالصلاة والصيام، أو المحرمات المعروفة، كالزنا والخمر ونحوهما فكل المسلمين عالم بهذا، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال مما يقتضي نوعا من الاجتهاد، لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره.

3 – أن يتيقن الناهي أنه منكر في حق الفاعل؛ لأن الشيء قد يكون منكراً في حد ذاته، لكنه ليس منكراً بالنسبة للفاعل. مثل المريض الذي يفطر في رمضان.

4 – أن لا يخاف الناهي حصول فتنة أكبر من المنكر الذي يريد تغييره، فإذا تحقق لديه حصول ذلك سقط عنه واجب التغيير إلى حين، لتعارض المفسدتين فيرتكب الأخف.

5 – أن يباشر الناهي تغيير المنكر برفق، وينتقي أفضل الوسائل وأنفعها، مراعيا في ذلك عامل الزمان والمكان، وأحوال مرتكبي المنكر، معتمدا مبدأ التدرج، والصبر، والحلم، لقوله ﷺ : «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف». ولقوله تعالى : «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»(النحل. : 125). وهذا مبدأ عام في الإصلاح والدعوة إلى الله.

يجب معاملة المخطئ برفق وعلم وحلم إلى أن يهديه الله إلى سبيل الرشاد

ثانيا: صفة تغيير المنكر ومبدأ التدرج في مراتب الإصلاح:

هذا الحديث أصل في صفة التغيير، ومنهج أصيل للتدرج في مراتب إصلاح الفساد، فحق المغير أن يغير المنكر بكل وجه أمكنه زواله به قولا كان أو فعلاً؛ فيبدأ بما بدأ به الرسول ﷺ، حيث قال: "فليغيره بيده" لكن ليس على إطلاقه، بل مع القدرة والاستطاعة مع نوع من المشقة المقبولة في أصل التكليف. قال ابن شبرمة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالجهاد، يجب على الواحد أن يصابر فيه الاثنين، ويحرم عليه الفرار منهما، ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك، وإن احتمل الأذى وقوي عليه فهو أفضل.

أ - التغيير باليد:

وهذا الشق من الحديث؛ أي التغيير بالفعل مسؤولية الدولة ومؤسساتها أولا، خاصة السلطة التنفيذية، والسلطة القضائية، وسوف تسأل عن ذلك أمام الله جل وعلا إن هي قصرت، أو ساهمت، أو سكتت عن منكر. ولا يجوز للعامة التغيير هنا؛ لأن من شأنه إثارة الفتنة التي غالبا ما يكون ضحيتها الأبرياء، فالعامة يكتفون بمقاطعة منابع المنكر والفساد، كما هو الحال مع وسائل الإعلام الحالية التي تسعى جاهدة مع الأسف الشديد لإدخال المنكر إلى بيوت المسلمين، وذلك عبر ما يبث فيها من برامج شعارها العري الفاحش، والكلام الساقط الذي لا يقبله الذوق السليم ناهيك عن قواعد الدين. وكل هذا يمارس ويعلن في قنواتنا رغم أنفنا، دون حياء أو خوف من الله عز وجل. وعلى الوزارة المكلفة أن تستعد للمحاسبة أمام الله تعالى على هذه الفضائح التي تنشرها وتمولها من جيوب المسلمين.

ب - التغيير باللسان:

قال ﷺ : "فَبلِسَانه" أي فلينكره بلسانه، بالقول كالتوبيخ وَالإِنْذار.. وما أشبه ذلك، وينكره بالكتابة، في الصحف، أو يؤلف كتباً يبين فيها المنكر مع ضرورة الالتزام بمبدأ الحكمة، فالمنكر له مظاهر كثيرة البعض منها معروف لدى العامة والخاصة والبعض لا يعرفه إلا الخاصة.

فالمنكر في مجال الاقتصاد، الأدرى به خبراء هذا المجال، والمنكر في مجال الطب الأعلم به من يمارسون هذه المهنة، والمنكر في مجال القضاء يعرف أسراره وحقائقه موظفو هذا القطاع، وهكذا يجب على كل مسلم أن يبين للناس هذه المناكر التي قد تخفى وتتستر تحت أغطية كثيرة؛ مثل غطاء الفن والإبداع، وغطاء حرية التعبير، وغطاء المساواة بين الجنسين، وغطاء التنمية وتحسين مستوى العيش بالقروض الربوية الكبرى والصغرى، وغطاء المحافظة على الجنين من التشوه لشرعنة الإجهاض، وغطاء الأم العازبة للدفاع عن الدعارة و....

فالمنكر ينتقي لنفسه المفاهيم الجميلة، ليتلبد بها ويلدغ من تحتها كالأفعى، فتنتشر سمومه داخل جسم المجتمع المسلم ليفتك به ببطء وبحذر. لهذا؛ وجب أن يتصف المصلح والداعية إلى الله بالذكاء والفطنة، ليكشف للناس البلاء الذي يهدد وجودهم. قال تعالى: ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ (الحج : 40). وقال تعالى: ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾(آل عمران: 101). وقال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (العنكبوت: 69). ولا يسكت المسلم عن فاعل المنكر لصداقته، وطلب الوجاهة عنده، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقا، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها.

أن يباشر الناهي تغيير المنكر برفق، وينتقي أفضل الوسائل وأنفعها، مراعيا في ذلك عامل الزمان والمكان، وأحوال مرتكبي المنكر، معتمدا مبدأ التدرج، والصبر، والحلم

ج - التغيير بالقلب:

التغيير بالقلب وهو آخر مراتب الإيمان قال ﷺ : «فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» دل هذا الحديث على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه فيما سبق، وأما إنكاره بالقلب فلا بد منه، فمن لم ينكر قلبه المنكر، دل على ذهاب الإيمان من قلبه. وقد روي عن أبي جحيفة، قال : قال علي: "إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبه المعروف، وينكر قلبه المنكر، نكس فجعل أعلاه أسفله". وعن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة».

عندما يصل الإنسان إلى هذه الدرجة والعياذ بالله، فلا يؤثر المنكر في قلبه بحيث يصبح على ود وأخوة وصحبة مع الفساد، بل يدافع عنه ويرفع شعاره، فاعلم أن الله قد جعل على بصره غشاوة، وطبع على قلبه فقسا كالحجارة أو أشد، والكثير من أبناء هذه الأمة يرى ابنته وزوجته تخرج معه أو بعلمه وهي شبه عارية، فلا تتحرك مشاعر الغيرة والحياء في قلبه، ويرى رئيسه أو مرؤوسه يغش في وظيفته، أو يأخذ رشوة فلا ينصحه، بل نتنافس في شراء المنازل الفاخرة، والسيارة الفارهة، والذهاب إلى السياحة والاستجمام للترفيه عن النفس بأموال القروض الربوية، بشعار الضرورة، وهذه قمة التطبيع مع المنكر قال تعالى : ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾(النمل: 24).

ما يستفاد من الحديث:

1 – الصراع بين الحق والباطل لن يتوقف، وعلى الداعية إلى الله أن يتعرف أساليب الباطل لدفعه ودرئه بحكمة.

2 – إن مهمة تغيير المنكر لا تبيح التجسس على الناس وتتبع عوراتهم، بل يحارب المنكر المعلن الظاهر بالتوجيهات المناسبة.

3 – المصلح يبدأ بنفسه أولا؛ ليكون قدوة في الصلاح والتقوى والانضباط، كي يعمل الناس بما ينصحهم به.

4 – يجب معاملة المخطئ برفق وعلم وحلم إلى أن يهديه الله إلى سبيل الرشاد.

المراجع:
جامع العلوم والحكم لا بن رجب. ج 2 ص 242
المعجم الصغير للطبراني رقم الحديث 220.
سنن أبي داود رقم الحديث 3784.
الزهد والرقائق لابن المبارك رقم الحديث 1332.
المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.للنووي ج /2. ص :22 و 23

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج: رشيد صدقي
الموقع الاكتروني : www.almahajjafes.net
البريد الاكتروني : almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف : 0535931113
الناسوخ : 0535944454
الإيداع القانوني : 1994–61
رقم الصحافة : 91/11
الترقيم الدولي : 3627–1113
الطبع : إكوبرانت
التوزيع : سابريس

التربية والتعليم أهميتهما وأثرهما على الفرد والأمة

ذ. عبد الحميد الرازي

الخطبة الأولى:

التربية والتعليم وظيفة الأنبياء والرسل، وهي معيار حضارة الشعوب وسبق الدول.. أول ما صدر للبشرية هو التعليم: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا...﴾(البقرة:31)، وأول معلم في هذه الأمة هو محمد ﷺ وأول مدرسة في الإسلام (مدرسة دار الأرقم).. ومن ذلك المعلَم وفي تلك المدرسة ومن أولئك التلاميذ صاغ العرب نواة حضارتهم، وحينها فقط سمع العالم يومئذ بالعرب وأدخلوهم ضمن حساباتهم.. إذ كانوا قبل ذلك على هامش الأحداث وفي ساقة الأمم.. والتاريخ يعيد نفسه، وما أشبه الليلة بالبارحة، ولم يرفع شأن هذه الأمة ولن ينهض بها إلا ما نهض بها في سابقها.

أيها المسلمون: لا يخفى على عاقل فضل العلم المقرون بالتربية الصالحة؛ فبه يَعْبُد المسلم ربه على بصيرة، وبه يعامل الناس بالحسنى، وبه يسعى في مناكب الأرض يبتغي عند الله الرزق على الوجه المفيد للعمران.. وبالعلم تبنى الحضارات وتبلغ الأمجاد ويحسن البناء والنماء.. العلم يجلس صاحبه مجالس الملوك، وإذا اقترن بالإيمان فتلك رفعة الدنيا والآخرة ﴿... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾(المجادلة:11)..

أما المعلمون والمعلمات فإنهم يجلسون من كراسي التعليم على عروش ممالك رعاياها أولاد المسلمين؛ فهم الذين يصوغون الفكر ويفتقون الأذهان ويطلقون اللسان ويربون الجنان؛ حقهم الإعزاز والإكرام والإجلال وفائق الاحترام.. حقهم أن ينزلوا منازلهم العالية ويوفوا حقوقهم الكاملة، وأن يُعرف قدرهم وتبقى هيبتهم:

أعلمتَ أشرفَ أو أجلّ من الذي
يبني وينشىء أنفسًا وعقولا

الوصية لهم بعد الوصية بالتقوى والصدق والإخلاص، وأن يكونوا قدوةً صالحةً لمن يتأسى بهم.

أيها المعلمون: إن أولاد المسلمين أمانة الله تعالى في أعناقكم وودائع الأمة بين أيديكم.. إن المعلم لا يستطيع أن يربي تلاميذه على الفضائل إلا إذا كان فاضلاً، ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان في نفسه صالحاً لأنهم يأخذون عنه بالقدوة أكثر مما يأخذون عنه بالتلقين، وإن الناشئ الصغير مرهف الحس قوي الإدراك للمعارف والكمالات.. فإن زينتم لهم الصدق فكونوا صادقين، وإن حسنتم لهم الصبر فكونوا من الصابرين ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾(الأحزاب:21).

إن الاستثمار في الإنسان هو الاستثمار الناجح الباقي المسلسل أجره ومنفعته في الدنيا وبعد الممات، وفي الحديث الصحيح: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث... "، وذكر منها: "أو علمٌ ينتفع به "رواه مسلم.

وإذا كانت هذه منزلة المعلم العالية فإن العناية باختيار المعلمين والمعلمات وانتقائهم والارتقاء بأدائهم وتطويرهم أمرٌ متحتمٌ لا لنجاح العمل التربوي فحسب وإنما لنجاح الأمة أيضا.. المعلم هو الركيزة الأساس وعليه تدور رحى التعليم؛ لا بد من استقراره نفسيًا وماديًا وإكرامه من عامة المجتمع.

أيها المسلمون.. أيها المربون: إن خير القلوب وأوعاها وأرجاها للخير ما لم يسند إليه الشر، وأول ما عني به الناصحون ورغب في أجره الراغبون إيصال الخير إلى قلوب أولاد المسلمين لكي يرسخ فيها، وتنبيههم إلى حدود الشريعة ومعالم الدين.. وهذه -والله- وظيفة الأنبياء، وقد أخبر النبي ﷺ : «أن الله وملائكته وأهل السموات والأرض يصلون على معلم الناس الخير»(رواه الترمذي).. فهنيئا لمن أخلص نيته وأصلح العمل، وأحيا النفوس بالعلم والعمل والأمل.

عباد الله: لقد تألقت الحضارة الإسلامية قرونًا من الزمان محتفظةً بأصالتها ومبادئها متفننةً في علومها وتجاربها. والشريعة الإسلامية بكمالها وشمولها أمرت بتعليم جميع العلوم النافعة: من العلم بالتوحيد وأصول الدين والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحربية والتجريبية.. وغيرها من العلوم التي يكون بها قوام الأمة وصلاح الأفراد والمجتمعات، ويكون به الاستغناء عن غيرها وعدم تبعيتها لأحد، وفي مبادئنا الإسلامية: ﴿... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الاثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾، لنحولَ هذا التوجيه الرباني إلى سياسة عمل ونهج ليسير على هداه رجال التربية والتعليم ورجال الإعلام والمال وكل أفراد المجتمع..إنه العمل المشترك والعمل بروح الفريق الواحد.

أيها المسلمون.. أيها المربون: نحن مؤتمنون على صياغة الجيل وتوجيه المستقبل في تطوير وتجديد ومواكبة للحضارة.. مع الأصالة والثبات المستمدين من شريعة الإسلام.. نعم الأصالة والتميز اللذان يستمدان منهجهما من الكتاب والسنة.. الهادفة إلى تعريف الناس برب العالمين والولاء لهذا الدين، وتنشئة المواطن الصالح المنتج الواعي السالم من الشطط ومسالك الانحراف في التفكير والتعبير والتدبير..

إن مبادئ الإسلام الراسخة والمرنة كانت الانطلاقة الصحيحة للحضارة الإسلامية التي باركها الله على أهل الأرض، وما ضعفت إلا حين كانت المنطلقات غير شرعية في تنكرٍ للدين أو تحجرٍ لا يتحمله الإسلام.

عباد الله: كل أمة تنشئ أفرادها وتربيهم على ما تريد أن يكونوا عليه؛ فالتربية والتعليم في حقيقته هو صياغة المجتمع وصناعة الجيل وتأهيله وتوجيهه.. وكل الأمم والدول تدرك هذا الجانب وتسعى بكل ما تستطيع لترسيخ مبادئها وأهدافها عن طريق التربية والتعليم، وتعتبر ذلك من خصوصياتها وسماتها التي لا تساوَمُ عليها.

التربية والتعليم.. والمناهج الدراسية حقٌّ سياديٌّ وشأنٌ داخلي لا ترضى الدول بالتدخل فيه ولا تسلمه الأمم إلى غيرها، ومنه ندرك أن استيراد التربية من أمم أخرى بكل ما لها وما عليها خطيئةٌ كبيرةٌ وتبعيةٌ خطيرة تعني نشأة جيل مغيب عن تراثه وتاريخه.. مقطوع الصلة بدينه ومبادئه.. ممسوخا بلا هوية يسهل قياده واستعباده.

إن التربية ليست بضاعة تستورد.. إنها لباس يفصل على قامة الشعوب ومقوماتها ومبادئها وأهدافها التي يعيشون لها ويموتون في سبيلها.. وهذا لا يعني هدر الإفادة من تجارب الأمم؛ فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها، إلا أنه من الخلط والتضليل فرض علمنة بحجة التطوير أو إقصاء الدين من مواكبة العلم.. وفي قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾، دليل على أن العلوم النافعة هي المقربة من الله جل وعلا ولو كانت من علوم الدنيا؛ وذلك باصطباغها بصبغة الإيمان والتقرب بها إلى الله تعالى وخدمة دينه ونفع المسلمين وعمارة الأرض كما أراد سبحانه في توازنٍ وشمولٍ ووسطيةٍ واعتدال.. أما إذا تجرد التعليم وأهدافه من الإيمان فأضحت الوسائل والمقاصد ماديةً بحتةً فهو الوبال والشقاء.. وهذه الحضارة اليوم شاهدٌ حيٌّ على هذا النتاج حتى شقيت أممٌ بصناعاتها حين ذُهلت عن خالقها، وأصبح التسابق في وسائل الدمار لا في الإعمار وفقد الاستقرار، وأصبحت القوة معيارا بدلًا من الحق والعدل في السياسة والاقتصاد وغيرها من المجالات.. وما الفخر في بنايات تعانق السحاب بذي قيمة إذا كانت القيم مدفونةً تحت التراب! وما الربح بمفيد إذا شغل الناس بالشهوات واللهاث وراء المادة في غفلةٍ عن الآخرة: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

التربية والتعليم.. والمناهج الدراسية حقٌّ سياديٌّ وشأنٌ داخلي لا ترضى الدول بالتدخل فيه ولا تسلمه الأمم إلى غيرها، ومنه ندرك أن استيراد التربية من أمم أخرى بكل ما لها وما عليها خطيئةٌ كبيرةٌ وتبعيةٌ خطيرة

عباد الله: إن من الضرورة للمقررات الدراسية أن ترسِّخ معالم الهوية الإسلامية والثقافة الوطنية وجوانب التميز الحضاري لها ومكانتها العالمية والإسلامية دينيًا واقتصاديًا وسياسيًا وصناعيًا مما يرسِّخ لدى المتلقي هويته الإسلامية وانتماءه الصحيح؛ فهو بحاجة ماسة أمام التحديات الفكرية والحضارية أن يكون أكثر وعيًا وأكثر مقاومةً للانحرافات التي تشكك في الثوابت الدينية والقيم النبيلة المتأصلة في مجتمعنا المسلم، ولئلا ينصهر الجيل ويذوب حتى يصبح مجرد رقم من بين المخلوقات..

وإذا كان هذا الزمن زمن صراع حضاريٍّ وعقائدي وضغوطات لعولمة الفكر والتعليم.. فإن من علامة إخلاص ووعي القائمين على التربية والتعليم مواجهة هذا التحدي وأن يكونوا على قدر المسؤولية في القيام بهذا الواجب العظيم لأجل مستقبلٍ مضيءٍ -بإذن الله- بالعلم والهدى والعطاء والبناء.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم....

الخطبة الثانية:

أيها المسلمون: يقول المنظرون: إن التربية والتعليم عملية تكاملية، ولنا أن نتساءل عن دور الآباء والأمهات في هذا التكامل ودور وسائل الإعلام في التربية والتوجيه والنصح والتعليم وعن برامج المجتمع المسلم في هذا المشروع.. إن اضطرابًا وازدواجًا وحيرةً يعيشها الناشئ حين يعيش التناقض بين ما تربى عليه في المدرسة وما تفرزه وسائل الإعلام المقروء منها والمرئي.. إن المدرسة لتجاهد في إرساء قواعد التربية وبنائها، ومع الانفتاح المذهل في وسائل الإعلام والاتصال أصبحنا في حالٍ ينازعنا غيرنا في تربية أجيالنا.. خاصةً إذا كان واقع كثيرٍ من هذه الوسائل إثمه أكبر من نفعه.

إن ذلك يستدعي وقفةً من أصحاب القرار والغيورين والمعنيين بالتربية أن تتكاثف الجهود بالدراسات وإيجاد الحلول، ثم المبادرات والقرارات حمايةً للجيل وصيانةً للأمة.. إن لكل مجتمع معالم يقف عند حدودها وشعائريكلف بتوقيرها.. حتى في الأقطار التي سادها الإلحاد تواطأ القوم على أمور يترابطون بها ويتلاقون على مطالبها وينظمون حياتهم بمنطقها.. ونحن المسلمون لا نبني حياتنا إلا على يقيننا بالله الواحد، ولا نرسم خطوط مجتمعنا وآفاق مستقبلنا إلا وفق هدايات الله العظيم كما بلغها رسوله الكريم.. ومن ثم فلا يقبل أبدًا إشاعة الفاحشة والإلحاد في حياة المجتمع المسلم، ولا أن يختل مظهر الإيمان في أرجاء الحياة العامة.. وليس استرضاء الله تعالى نافلة يزهد فيها الزاهدون أو يتخير فيها المترددون، ويستحيل أن ندع مواريث الحق التي تلقيناها ثم نرتقب خيرًا في عاجل أمرنا أو آجله.

ولكي نصل إلى مستوى عالٍ للتربية المنشودة يجب أن نصون الإيمان أولًا ونستبقي له قدسيته؛ فإن الإيمان بالله واليوم الآخر والطمأنينة المطلقة إلى ما جاء عن الله جل جلاله ورسوله ﷺ أسسٌ مكينةٌ للتربية الكاملة، بل إن أنواع السلوك ترتبط بالإيمان كما ترتبط العربات بالقاطرة.. فإن لم يكن هنالك إيمان يربط حركات المرء وسكناته فإن المكان سيخلو لسائر الموجهات والمحركات الأخرى، وسينفتح المجال للشهوات والأهواء والرغبات والحاجات والغرائز والمنافسات، ويتهارج الناس لتحقيق ذلك من غير وازع ولا رادع..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

جَعَلَنَا اللهُ ممَّن اسْتَمَعَ الْقَوْلَ فَاتَّبَعَ أَحْسَنَهُ، وَجَعَلَنَا مِمَّنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَمِلَ بِه وَدَعَا بِهِ وَإِلَيْه...

تفسير القرآن بالقرآن أهميته وحجيته

ذ. العربي عبد الجليل

تمهيد:

يكاد يتفق جل المهتمين بعلم التفسير على أن المصادر الأولية التي يجب على المفسر الرجوع إليها عند تفسيره لكتاب الله عز وجل تتمثل في: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين على خلاف في الصنف الأخير. وسميت هذه الأصول: «بالمراجع الأولية لئلا تدخل كتب التفسير؛ لأنها تعتبر مصادر»(1).

هكذا وبعد أن يحقق من يريد أن يفسر القرآن ما يتطلبه الإقدام على هذا العمل من مؤهلات علمية وفكرية، عليه أن يحدد المنهج الذي يحقق له هدفه من غير أن يؤدي به ذلك إلى تفريط أو شطط، وكان علماء السلف – رحمهم الله تعالى– قد تحدثوا عن أصح طرق التفسير(2)، وتسمى في بعض كتب العلوم القرآنية ب: (مصادر التفسير)(3) و(منابع التفسير)(4) و(مآخذ التفسير)(5)... وبينوا الخطوات التي يجب على المفسر أن يخطوها، والموقف الذي عليه أن يفقه من التراث التفسيري الذي أنتجته أجيال علماء الأمة السابقين. فقالوا:

إن أصح الطرق أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر. فإن أعياك ذلك – أي تفسير القرآن بالقرآن– فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له... وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرائن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح... وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة؛ فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين: كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير... وكسعيد بن جبير...(6).

ونقتصر في هذا المقام على تفسير القرآن بالقرآن بياناً لأهميته وخصوصيته ، إبرازا لحجيته .

أهمية تفسير القرآن بالقرآن وخصوصية هذا المنهج:

القرآن الكريم هو أول من عني بالبيان والتفسير لنفسه، ولفت انتباه علماء الأمة إليه بوجه التنبيه والبيان، بل وحملهم أحيانا على ذلك حملا؛ «بأن علق وضوح المعنى وزوال الإبهام، وتمام المقصود من الكلام، بالجمع بين النصوص وحمل بعضها على بعض، دالا إياهم على مواضع التفصيل وتمام المقصود من الكلام، التي ينبغي الحمل عليها...»(7).

ففي القرآن آيات تحث على التدبر والتذكر والاعتبار، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾(8). وقوله: ﴿ثم إن علينا بيانه﴾(9). إلى غير ذلك من الآيات.

فالرجوع إلى القرآن الكريم المصدر الأول للتفسير هو «السبيل الأقوم لإزالة النزاع والاختلاف بين المسلمين عامة والعلماء خاصة؛ قال عز وجل: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾(10).

فالله تعالى إذن هو أول مبين لكتابه، لأنه الأعلم بكلامه ومراده. ومن ثم ألفينا عامة المفسرين على اختلاف مناهجهم التفسيرية، وتباين مذاهبهم الفكرية، يجعلون القرآن أصلا مقدما في تفاسيرهم وحجة دامغة لأقوالهم... وذلك استهداء بالمنهج النبوي الذي أصل هذا المسلك حين تفسيره لبعض الآيات...»(11).

وممن تحدث عن أهمية تفسير القرآن بالقرآن نجد الدكتور محسن عبد الحميد الذي يقول: «تفسير القرآن بالقرآن قاعدة جليلة، يصل المفسر إذا استعان به إلى المعنى الصحيح، لأن القرآن وحدة متكاملة مرتبطة، بعضه يتم البعض الآخر»(12) نجد كذلك الدكتور صبحي الصالح؛ الذي قال أثناء حديثه عن: (القرآن يفسر بعضه بعضا) «يردد المفسرون هذه العبارة كلما وجدوا أنفسهم أمام آية قرآنية تزداد دلالتها وضوحا بمقارنتها بآية أخرى. وإن لهم أن ينهجوا في تأويل القرآن هذا المنهج، لأن دلالة القرآن تمتاز بالدقة والإحاطة والشمول، فقلما تجد فيه عاما أو مطلقا أو مجملا ينبغي أن يخصص أو يقيد أو يفصل إلا تم له في موضع آخر ما ينبغي له من تخصيص أو تقييد أو تفصيل»(13). ولهذا قال ابن تيمية: «إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن...»(14) وقال مساعد بن سليمان الطيار. معلقا على قول ابن تيمية :. «وهذا حق لا مرية فيه...) خصوصا (إذا كان تفسير القرآن بالقرآن لا يتنازع فيه اثنان لوضوحه واستبانته»(15)، وقد سبق التمثيل لذلك.

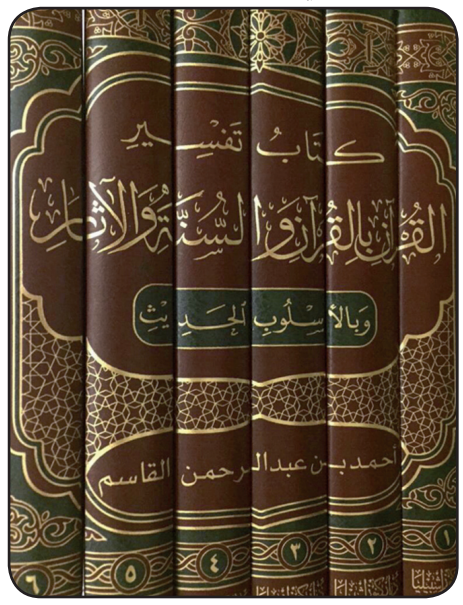

«فالرجوع إلى القرآن إذن، والتماس تفسير الآيات من خلاله يمنع من الوقوع في الخطأ والزلل..»(16).

هذا المنهج الذي له خصوصيته التي تميزه عن غيره، فهو «يتعين... بالاستعانة بنص خارج عن الآية المشروحة إلا أنه نص من جنسها مجلوب من المدونة نفسها... (ف) شرح القرآن بالقرآن هو أولا وقبل كل شيء إقرار بأسلوب قرآني متميز يشعر به الخاص والعام، ويتمثل في أن المعنى الواحد يتناوله القرآن في مواضع مختلفة فكان اختلاف التعبير عاملا من أهم العوامل المساعدة على الشرح المساير للمقاصد القرآنية...»(17)(×).

وعن هذا المنهج أيضا تقول الباحثة سعاد كوريم: «وإذا علمنا أن منهج تفسير القرآن بالقرآن، هو طريقة في التفسير تعتمد القرآن مصدرا وحيدا لاستمداد المادة المفسرة، أمكن تحديد خصوصياته في ما يلي:

إن التعامل مع مصادر التفسير يبدأ عبر النظر في مصداقيتها، ومناقشة حجيتها، وإذا كانت تلك المصادر نصوصا، فلا بد من توثيق أسانيدها، وتحقيق متونها، ومعرفة أصحابها، وبيئاتهم، وثقافتهم، وتاريخ حياتهم، وذلك ما يعفينا منه القرآن، لكونه وحيا منزلا من الله تعالى»(18). محفوظا من أي تبديل أو تحريف.

«إن قضية التفسير تتضمن استبدال النص المفسر بالنص المفسر أثناء الفهم، ومغزى هذا الاستبدال يحتاج إلى وقفة قصيرة. فالنصان ينتميان عادة إلى مستويين لغويين مختلفين، وهذا يعني أنهما غير متساويين، مما يحول دون توازن طرفي المعادلة التفسيرية، غير أن المسافة بين الطرفين تضيق أو تكاد تنعدم، إذا انتمى النصان إلى نفس المصدر، وتم الربط بينهما على نحو منهجي، بعيد عن التعسف والاعتباطية، وهذا ما يكفله منهج تفسير القرآن بالقرآن.

إن منهج تفسير القرآن بالقرآن يختص بمجموعة من الأدوات الإجرائية التي يستقل بها عن غيره من مناهج التفسير، ومن ذلك اختصاصه –على سبيل المثال– باعتماد كل من الضابطين: السياقي، والموضوعي، في الجمع بين الآيات وبيان بعضها ببعض...»(19).

ولما كان القرآن الكريم هو منهج حياة الأمة، وكان موضوع تفسير القرآن بالقرآن هو بيان هذا الكتاب، كان التزام المنهج فيه ذا أهمية، لأنه يوصل إلى التفسير الحق.

حجية وحكم تفسير القرآن بالقرآن:

بعد أن خلصنا إلى أهمية وقيمة منهج تفسير القرآن بالقرآن تتبين لنا قوته وحجيته، وأنه واجب القبول، خصوصا إذا كان الذي فسر الآية بآية أخرى هو النبي ﷺ، أو أحد العلماء الذين تتبعوا الخطوات اللازمة لذلك.

يقول مساعد بن سليمان الطيار:«كلما كان تفسير القرآن بالقرآن صحيحا، فإنه يكون أبلغ التفاسير، ولذا: فإن ورود تفسير القرآن بالقرآن عن النبي ﷺ أبلغ من وروده عن غيره، لأن ما صح مما ورد عن النبي محله القبول..»(20) وبعد تأكيده على أن أهم خطوات التفسير، أن يفسر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، قال الدكتور صلاح الخالدي : «وكل مفسر لم ينطلق من هاتين الخطوتين، ولم يلتزم بهاتين المرحلتين، يكون منهجه في التفسير مطعونا فيه، ويكون في تفسيره أخطاء منهجية.»(21) فالملتزم بهذا المنهج حسب العلامة حسين الذهبي «لا خلاف في قبوله، لأنه لا يتطرق إليه الضعف، ولا يجد الشك إليه سبيلا.»(22).

وقد أكدت الباحثة سعاد كوريم على أن «كل تفسير يستمد حجيته من معطيين اثنين؛ من المصدر المستقى منه، والجهة المسئولة عنه. وأن مصدر تفسير القرآن بالقرآن هو القرآن نفسه لدلالة "بالقرآن" على ذلك أي أن هذا التفسير يستمد من القرآن وحده دون بقية المصادر الأخرى التي هي دونه في القوة فهو أقواها على الإطلاق، وبالتالي فهو حجة في التفسير... هذا من جهة المصدر. أما بالنسبة للجهة المسئولة عن التفسير– أي المفسر– وعلاقته بالحجية فليس دائما حجة، لأن تفسير القرآن بالقرآن ينسب إلى من فسر به، فمتى كان المفسر حجة، بأن توفرت فيه الشروط، واتبع المنهج الصحيح... قبل تفسيره، وإلا كان فيه نظر. »(23).

هكذا إذن، يتبين أنه متى كانت الآية توضح الآية الأخرى وتبينها، فإنه يصح أن تدخل في مسمى "تفسير القرآن بالقرآن"، وغير هذا لا يدخل فيه. وإن اتباع هذا المنهج في التفسير يوصل المفسر إلى المعنى المراد، إذا كان هذا المفسر حجة، واتبع المنهج الصحيح، وبالتالي يكون تفسيره مقبولا.

---

1 – مجلة البيان، عدد : 95، السنة العاشرة، 1416هـ/1995م، مقال لمساعد بن سليمان الطيار، تحت عنوان: "مصادر التفسير، تفسير القرآن بالقرآن"، ص: 20.

2 – مقدمة في أصول التفسير، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد عبد الحليم ابن تيمية الحراني، ص:57، مؤسسة الريان، الطبعة الثانية، 1422هـ/2002م.

3 – تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، الخالدي، ص:201. التفسير بالمأثور جمع ودراسة نقدية من سورة النساء، إعداد أحمد بن عبد الله البغدادي، ص: 10، دار الكتب العلمية المصرية، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م.

4 – بحوث في تفسير القرآن الكريم، محمود رجبي، ترجمة حسين صافي، ص:229.

5 – البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج:2، ص:175، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

6 – ينظر مقدمة في أصول التفسير من ص:57 إلى ص:66. والبرهان للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج:2، ص:175.

7 – تفسير القرآن بالقرآن، دراسة تاريخية ونظرية، ج:1، ص: 13، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، إعداد محمد قجوي، إشراف الدكتور الشاهد البوشيخي، السنة الجامعية: 1421هـ/2000م، (وهي رسالة من جزأين، مرقونة بخزانة السلك الثالث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز– فاس– تحت رقم: 20/ 111).

8 – ص: 29

9 – القيامة: 19

10 – الشورى: 10

11 – قواعد الترجيح عند المفسرين القدامى، ص: 207، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، إنجاز: محمد إكيج، تحت إشراف، الدكتور، أحمد أبو زيد (بحث مرقون بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكدال –الرباط– تحت رقم: ر.ج 212/ اكي).

12 – دراسات في أصول تفسير القرآن، محسن عبد الحميد، ص: 111، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1404هـ/1984م.

13 – مباحث في علوم القرآن، الدكتور صبحي الصالح، ص: 299، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة عشرة، 1982م.

14 – مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، ص: 57.

15 – شرح مقدمة في أصول التفسير، ص: 271.

16 – اتجاه أهل السنة في تفسير القرآن الكريم، فريد الجمالي، إشراف الدكتور أحمد أبو زيد، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، السنة الجامعية:1418،1417هـ/ 1996،1997م (بحث مرقون في جزء واحد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكدال – الرباط– تحت رقم: ر.ج 212/ جما).

17 – قضايا اللغة في كتب التفسير، المنهج، التأويل، الإعجاز، الدكتور عبد الهادي الجطلاوي، ص: 137، 138.دار محمد علي الجامعي، صفاقس، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

(×) هذا الكلام يتقارب مع ما قاله صلاح الخالدي في كتابه:"تعريف الدارسين بمناهج المفسرين"، ص:148، 149، 150.

18 – إسلامية المعرفة، السنة الثالثة عشر، العدد:49، 1428هـ/2007م، مقال للباحثة سعاد كوريم تحت عنوان:– تفسير القرآن بالقرآن، دراسة في المفهوم والمنهج– ص: 119.

19 – إسلامية المعرفة، السنة الثالثة عشر، العدد:49، 1428هـ/2007م، مقال للباحثة سعاد كوريم تحت عنوان:– تفسير القرآن بالقرآن، دراسة في المفهوم والمنهج، ص: 120.

20 – مجلة البيان،عدد: 95، السنة العاشرة، 1416هـ/1995م، مقال لمساعد بن سليمان الطيار تحت عنوان:" علاقة المأثور والرأي"، ص: 29.

21 – تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص: 147.

22 – التفسير والمفسرون، ج: 1، ص: 158.

23 – إسلامية المعرفة، السنة الثالثة عشر، العدد:49، 1428هـ/2007م، مقال للباحثة سعاد كوريم تحت عنوان:– تفسير القرآن بالقرآن، دراسة في المفهوم والمنهج– ص: 112 و 113، باختصار وتصرف.

الحجب في الميراث على ضوء مدونة الأسرة

ذ. احميدة مرغيش

تعريف الحجب

المادة 355 : "الحجب منع وارث معين من كل الميراث أو بعضه بقريب آخر".

مفهوم الحجب لغة و اصطلاحا :

1 - **مفهوم الحجب لغة:** هو المنع و الحرمان، يقال حجبه إذا منعه من الدخول، والحاجب هو المانع..

2 - **مفهوم الحجب اصطلاحا:** منع الوارث من الإرث بالكلية أو من أوفر حظه لوجود من هو أقرب منه للهالك.

أقسام الحجب :

المادة 356 : " الحجب نوعان :-1 حجب نقل من حصة الإرث إلى أقل منها -2 حجب إسقاط من الميراث"

1 - **حجب بالوصف :** هو منع الوارث من الإرث كلية لقيام وصف به يمنعه من الإرث و هو المعبر عنه بالمانع(موانع الإرث)، كأن يكون قتلا أو كفرا...

2 - **حجب بالشخص :** هو منع الوارث من الإرث أو من أوفر حظيه بسبب وجود من هو أولى منه، و هو نوعان :

أ- **حجب نقصان :** و هو منع الوارث من أوفر حظيه، مثال : الفرع الوارث يحجب الأم من الثلث إلى السدس.

■ **قاعدة : حجب نقصان يدخل على جميع الورثة، و ذلك بالانتقال من فرض إلى فرض، كالزوجة تنتقل من** 4/1 **إلى** 8/1 **لوجود الفرع الوارث، أو بالانتقال من تعصيب إلى فرض أقل، كالأب ينتقل من التعصيب إلى** 6/1**، أو الانتقال من فرض إلى تعصيب أنقص منه، كالبنت تنتقل من** 2/1 **إلى التعصيب مع شقيقها.**

ب- **حجب حرمان :** هو إسقاط حق الوارث من الإرث كلية لوجود من هو أولى منه، مثال : الابن يحرم الأخ من الإرث كلية.

المادة 357 : "حجب الإسقاط لا ينال ستة من الوارثين وهم : الابن، والبنت، والأب، والأم، والزوج، والزوجة."

أقسام المحجوبين : ينقسمون إلى قسمين :

1 - **المحجوبون حجب نقص فقط :**

و هم لا يحجبون حجب حرمان أبدا و هم ستة :

الابن ـــ البنت ـــ الأب ـــ الأم ـــ الزوج ـــ الزوجة

المادة 359 : " يحجب حجب نقل :

1 – الأم : ينقلها من الثلث إلى السدس الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن واثنان فأكثر من الإخوة والأخوات سواء كانوا أشقاء أو للأب أو للأم وارثين أو محجوبين.

2 – الزوج : ينقله الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن من النصف إلى الربع.

3 – الزوجة : ينقلها الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن من الربع إلى الثمن.

4 – بنت الابن : تنقلها البنت الواحدة من النصف إلى السدس كما تنقل اثنتين فأكثر من بنات الابن من الثلثين إلى السدس.

5 – الأخت للأب : تنقلها الشقيقة من النصف إلى السدس وتنقل اثنتين فأكثر من الثلثين إلى السدس.

6 – الأب : ينقله الابن وابن الابن من التعصيب إلى السدس.

7 – الجد : عند عدم الأب ينقله الابن وابن الابن من التعصيب إلى السدس.

8 – البنت وبنت الابن، والأخت الشقيقة والأخت للأب ينقل كل واحدة منهن فأكثر أخوها عن فرضها ويعصبها.

9 – الأخوات الشقيقات والأخوات للأب تعصبهن البنت فأكثر أو بنت الابن فأكثر فتنقلهن من الفرض إلى التعصيب.

2 - **المحجوبون حجب حرمان :**

شرح المادة:358

الذين يحجبون حجب حرمان	من يحجبه
ابن الابن وإن نزل	الابن وابن ابن أعلى منه
بنت الابن وإن نزل أبوها	الابن و البنات إذا استكملن 3/2. ولم يكن معها ابن ابن ولو أسفل منها
الجد	الأب
الجدة لأب و الجدة لأم	الأم
الجدة لأب	الأب و الأم
الأخ لأم والأخت لأم	ابن ـــ ابن الابن ـــ بنت ـــ بنت الابن ـــ الجد ـــ الأب
الأخ الشقيق والأخت الشقيقة	الابن ـــ ابن الابن ـــ الأب ـــ الجد
الأخ لأب	الابن ـــ ابن الابن ـــ الأب ـــ الجد ـــ الأخ الشقيق ـــ الأخت الشقيقة إذا كانت عصبة مع الغير
الأخت لأب	الابن ـــ ابن الابن ـــ الأب ـــ الجد ـــ الأخ الشقيق ـــ الأخت ش إذا كانت عصبة مع الغير ـــ الأخت ش إذا تعددن و استكملن 3/2
ابن الأخ الشقيق	الابن ـــ ابن الابن ـــ الأب ـــ الجد ـــ الأخ ش ـــ الأخ لأب ـــالأخت ش إذا كانت عصبة مع الغير ـــ الأخت لأب إذا كانت عصبة مع الغير
ابن الأخ لأب	الابن ـــ ابن الابن ـــ الأب ـــ الجد ـــ الأخ ش ـــ الأخ لأب ـــ الأخت ش إذا كانت عصبة مع الغير ـــ الأخت لأب إذا كانت عصبة مع الغير ـــ ابن الأخ ش
العم الشقيق	الابن ـــ ابن الابن ـــ الأب ـــ الجد ـــ الأخ ش ـــ الأخ لأب ـــ الأخت ش إذا كانت عصبة مع الغير ـــ الأخت لأب إذا كانت عصبة مع الغير ـــ ابن الأخ ش ـــ ابن الأخ لأب
العم لأب	الابن ـــ ابن الابن ـــ الأب ـــ الجد ـــ الأخ ش ـــ الأخ لأب ـــ الأخت ش إذا كانت عصبة مع الغير ـــ الأخت لأب إذا كانت عصبة مع الغير ـــ ابن الأخ ش ـــ ابن الأخ لأب ـــ العم ش
ابن العم الشقيق	الابن ـــ ابن الابن ـــ الأب ـــ الجد ـــ الأخ ش ـــ الأخ لأب ـــ الأخت ش إذا كانت عصبة مع الغير ـــ الأخت لأب إذا كانت عصبة مع الغير ـــ ابن الأخ ش ـــ ابن الأخ لأب ـــ العم ش ـــ العم لأب
ابن العم لأب	الابن ـــ ابن الابن ـــ الأب ـــ الجد ـــ الأخ ش ـــ الأخ لأب ـــ الأخت ش إذا كانت عصبة مع الغير ـــ الأخت لأب إذا كانت عصبة مع الغير ـــ ابن الأخ ش ـــ ابن الأخ لأب ـــ العم ش ـــ العم لأب ـــ ابن العم ش

كتب في علم المواريث

كتاب: إيضاح الأسرار المصونة في الجواهر المكنونة في صدف الفرائض المسنونة للشيخ الرسموكي

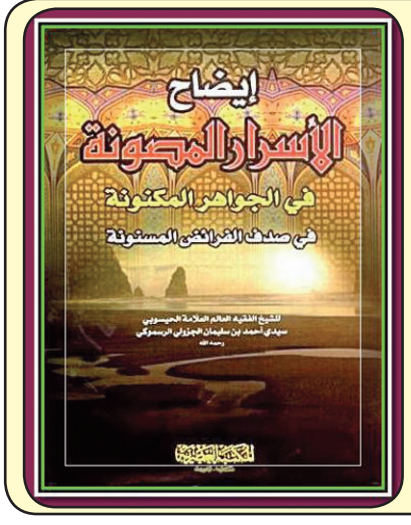

قال فيه الحضيكي في طبقاته: (علي بن أحمد بن محمد بن يوسف الرسموكي الركراكي أصلا التمنارتي [وطنا] تسلكيت([4])، الفقيه الكبير المتفنن المدرس البارع الناظم المصنف الناثر، دأب رحمه الله على التدريس، ونشر العلوم والتصنيف، وإرشاد المسلمين، والنصح لهم بغاية ما أمكن، واجتهد وأفتى، وبذل الجهد والطاقة، إلى أن توفي رحمه الله، صبيحة الثلاثاء ، السادس عشر من رمضان، سنة تسع وأربعين وألف.

وولد حوالي 1050هـ ببلدة « ناغاتين» من قبائل «رسموكة» إحدى قبائل «جزولة» شرقي مدينة تزنيت.

ومن تآليفه: "شرح ألفية ابن مالك" و"شرح الجمل للمجرادي" و"شرح فرائض ابن ميمون" و"جمع كلمات من الأموات، وشرحها" و"شرح الكبرى والصغرى" للسنوسي، و"حقائق في الإعراب"، وغير ذلك، والله أعلم.

أما عن خدمته لعلم المواريث فقد ألف رحمه الله أرجوزة في علم الفرائض، سماها «الجواهر المكنونة في صدف الفرائض المسنونة « شرحها شرحين :الكبير والصغير .

الكبير سماه :«إيضاح الأسرار المصونة» والصغير سماه : «حلية الجواهر المكنونة» سلك فيه طريقة المشارقة فمزج فيه الشرح بالمتن، وفقهه محرر غاية لخصه من «الإيضاح» حرفيا غير أنه أمتع وأفيد. وللإ شارة فإن هناك بعض الأخطاء المطبعية تكاد تكثر في الشرح الكبير .

الاتباع سبيل النجاة

ذ. محمد ديان

إن أي عمل مهما كان، لابد وأن يراعي فيه فاعله الاتباع، كما راعى ذلك وحرص عليه سلف الأمة الصالح، وفي مقدمتهم صحابة رسول الله ﷺ.

والأدلة على الالتزام بالاتباع كثيرة، منها:

أولا: أدلة من القرآن الكريم:

يقول الله عز وجل: ﴿إن اتبع إلا ما يوحى إلي﴾(الأنعام : 51). إذا كان الرسول ﷺ مأمورا باتباع الوحي، فالأمر كذلك ينطبق ويطبق على كل فرد مسلم من الأمة، لأنه قدوتنا وأسوتنا ومثلنا الأعلى في كل شيء، وهذا بنص القرآن الكريم ﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة﴾(الأحزاب : 21). قال أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي: "الأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته، وترك مخالفته في قول أو فعل"(1).

إننا بهذا لايمكن أن نقدم على أي فعل مهما كان، حتى نزنه بميزان الشرع، ونخضعه لأحكامه، وحتى يتبين لنا حكم الله فيه أمرا أو نهيا، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾(الحجرات : 1). وعند تبين الحكم نقول: ﴿سمعنا وأطعنا﴾ (البقرة : 284)، وبذلك نمتثل أمر ربنا القائل: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الأنفال : 24)، وبالاستجابة تحصل الطاعة المطلوبة: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله﴾ (الأنفال : 20). وبالطاعة نحقق محبة الله ورسوله، قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (آل عمران : 31)، ومن علامة حب الرسول ﷺ "الاقتداء به واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، والتأدب بأدبه، في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه"(2). ومن الطبيعي أن يحدث بعض النزاع والتنازع بين المسلمين في بعض الأحكام الفرعية وفي أمور الحياة، ولذا دلنا الله سبحانه على أن الفيصل في هذه الحالة هو الرجوع إلى الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ (النساء : 58). وإذا تحرينا وامتثلنا الاتباع فستكون النتيجة ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ (النور : 52)، وأيضا ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ (طه : 121)، قال ابن عباس رضي الله عنهما : "لايضل في الدنيا ولايشقى في الآخرة"(3). ففي الاتباع كل الخير والسعادة في الأولى والآخرة. فيا طالب رضا الله تعالى، ويا طالب محبة الله سبحانه، ويا طالب القرب من الله عز وجل، عليك باتباع ماجاء في كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ.

ثانيا: أدلة من السنة النبوية الشريفة:

كثيرة هي الأحاديث النبوية التي تأمرنا وتوجب علينا الاعتصام بالكتاب والسنة. ونظرا لكثرتها سأقتصر على لآلئ ثمينة منها.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من فعل أمرا ليس عليه أمرنا، فهو مردود»(4).

وعنه ﷺ : «من رغب عن سنتي فليس مني»(5).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: («كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»)(6).

فهذه الأحاديث تأمرنا أمرا لا محيد عنه باتباع الكتاب والسنة لمن أراد النجاة والجنة، وتحذرنا بل وتتوعدنا بالعذاب إن نحن تركنا القرآن والسنة وراء ظهورنا، وركبنا البدع.

ثالثا: أدلة من أقوال السلف في الاتباع:

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ"(7).

وقال عمر رضي الله عنه ونظر إلى الحجر الأسود: "إنك حجر لاتنفع ولاتضر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ماقبلتك ثم قبله"(8).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : "ألا إني لست بنبي ولايوحى إلي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ مااستطعت"(9).

وأما ابن مسعود رضي الله عنه فقال: "القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة"(10).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: "صلاة السفر ركعتان. من خالف السنة كفر"(11).

وقال عمر بن عبد العزيز(12): "سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننا، الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله. ليس لأحد تغييرها ولاتبديلها ولا النظر في رأي من خالفها.من اقتدى بها فهو مهتد. ومن انتصر بها فهو منصور. ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا"(13).

وقال عطاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ (النساء :58)، أي: إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ (14).

وقال الزهري: "كان من مضى من علمائنا يقولون: إن الاعتصام بالسنة نجاة"(15).

وقال الشافعي: "ليس في سنة رسول الله ﷺ إلا اتباعها"(16).

وقال ابن تيمية: "جُمَاع الدين أصلان: ألا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع"(17).

وقال أحمد زروق: "أصل كل أصل من علوم الدنيا والآخرة، مأخوذ من الكتاب والسنة، مدحا للممدوح، وذما للمذموم، ووصفا للمأمور به"(18).

وقال السلطان مولاي سليمان: "إن الطريق المستقيم كتاب الله وسنة رسوله"(19).

إن أمر الاتباع من الصحب الكرام رضي الله عنهم هو المقطوع به. فحب الرسول ﷺ ملأ عليهم جوانحهم وجوارحهم، فلم يخالفوه في شيء. وحبه ﷺ من حب الله تعالى. كما أن السلف الصالح من بعدهم كانوا أحرص على الاتباع، مما جعلهم أصح وأصفى عقيدة، وأزكى عملا، وأحسن خلقا. فنعم السلف سلف هذه الأمة !

فاللهم وفقنا للسير على خطاهم.واجعلنا خير خلف لخير سلف، وارزقنا الاتباع وأبعدنا عن سبل ومسالك الابتداع.

---

1 – الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 6/2.
2 – الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 16/2.
3 – تفسير ابن كثير، 187/3.
4 – أخرجه الدارقطني في سننه، تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني، رقم الحديث: 80، 227/3، المحاسن للطباعة، القاهرة، س ط: 1386هـ/ 1966م.
5 – هذا جزء من حديث صحيح طويل، رد فيه صلى الله عليه وسلم على الثلاثة الذين خالفوا السنة بفعل الخير. أخرجه االبخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث: 5063، 437/6.
6 – أخرجه البخاري فيصحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 7280، 489/8.
7 – الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 12/2.
8 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 10.
9 – الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 12/2.
10 – الرد على من اتخذ الشطح والرقص عبادة، ص: 124. والشفا بتعريف حقوق المصطفى، 10/2.
11 – الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 10/2.
12 – هو: المحتصن عمر بن عبد العزيز. كان واحد أمته في الفضل، ونجيب عشيرته في العدل، جمع زهداوعفافا، وورعا وكفافا، شغله آجل العيش عن عاجله، وألهاه إقامة العدل عن عاذله، كان للرعية أمنا وأمانا، وعلى من خالفه حجة وبرهانا، كان مفوها عليما، ومفهما حكيما. توفي سنة 101هـ. تنظر ترجته في: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، رقم: 323، 253/5 ومابعدها.
13 – الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 9/2.
14 – الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 10/2.
15 – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 369/3.
16 – الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 10/2.
17 – العبادة في الإسلام، ص: 159.
18 – قواعد التصوف، ص: 54.
19 – عرقلة الفكر الظلامي الديني للنهضة المغربية، ص: 279.

من أدب الأذان : «لا حول ولا قوة إلا بالله»

عبد الرفيع أحنين

عندما يرتفع صوت الأذان من الصوامع مناديا في جموع المسلمين أن هلموا إلى الصلاة تنطلق حناجر المؤمنين مرددة مع المؤذن قائلة كما يقول، وتنخرط الطيور في السماء والأسماك تحت الماء بدورها في ذكر الله مستغفرة للمؤذن(1)، وهكذا يعيش الكون كله لحظة رفع الأذان والتثويب للصلاة الجامعة وحدة وتناغما وتوافقا في إعلان وحدانية الله جل وعلا والخضوع له سبحانه.

إن الأذان من أوضح الشعائر الدالة على عظمة الإسلام واتساع رقعته وكثرة المنضوين تحت لوائه، وكيف لا وقد غدا صداه يتردد في آفاق البسيطة كل حين من دون انقطاع.

إنها لحظة مشهودة محبوبة لدى المؤمنين، وتراهم إذ تطرق مسامعهم أولى كلمات الأذان ينصرفون عن كل شغل ويصمتون عن كل كلام إلا عن الترديد مع المنادي عبارات الأذان مما علمهم المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه بقوله: «إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر... ثم قال: حي على الصلاة، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله؛ ثم قال: حي على الفلاح، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله..»(2).

«لا حول ولا قوة إلا بالله» كنز من كنوز الجنة، كما أخبر بذلك الحبيب ﷺ وبشرنا؛ وبهذا فإن المؤمن بمجرد أن يردد مع المؤذن عند كل أذان «لا حول ولا قوة إلا بالله» فإنه يتم في كل يوم إعداد عشرين كنزا له في الجنة، وما أدراك ما كنوز الجنة! أما باقي عبارات الأذان فإن فيها من الأجر والمثوبة ما لا يعلمه إلا الله، فلك الحمد ربنا ما أرحمك بنا وما أكرمك!

وأرى -والله أعلم- أنه في تخصيص عبارتي «حي على الصلاة حي على الفلاح» بذكر خاص عند متابعة الأذان وهو «لا حول ولا قوة إلا بالله» فائدة جليلة وهي: تربية المؤمن وإعلامه وتذكيره بأنه لا حول له ولا قوة على إقامة الصلاة حق إقامتها والمحافظة عليها ونيل الفلاح بها وبغيرها من أعمال البر لولا أن هداه الله وأرشده إلى ذلك وأعانه عليه، قال تعالى: ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله﴾ (النساء، 79)، وقال حاكيا على لسان المؤمنين في الجنة: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ (الأعراف، 43).

وبإدراكنا لهذه الحقائق واستذكارنا لها عند كل أذان بل مع كل عمل؛ نقطع على النفس أسباب الغرور والإعجاب، ونلزمها بآداب الوقار والتذلل والعرفان لله الذي من عليها ووفقها لما هي عليه من الخير.

وينبني على هذه الحقيقة أمر في غاية الأهمية والخطورة وهو أنه إذا رأينا أحدا من عباد الله يغفل عن صلاته أو أنه تارك لها البتة رجعنا إلى أنفسنا فذكرناها بفضل الله، وحمدناه وأثنينا عليه بما هو أهله، وتعوذنا به أن نصير إلى ما هو عليه، ثم دعونا له ولأمثاله بالهداية والتوفيق؛ ﴿كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم﴾(النساء،94)، وإن لم تكونوا كذلك فإنه لولا الله جل وعلا لكنتم كذلك.

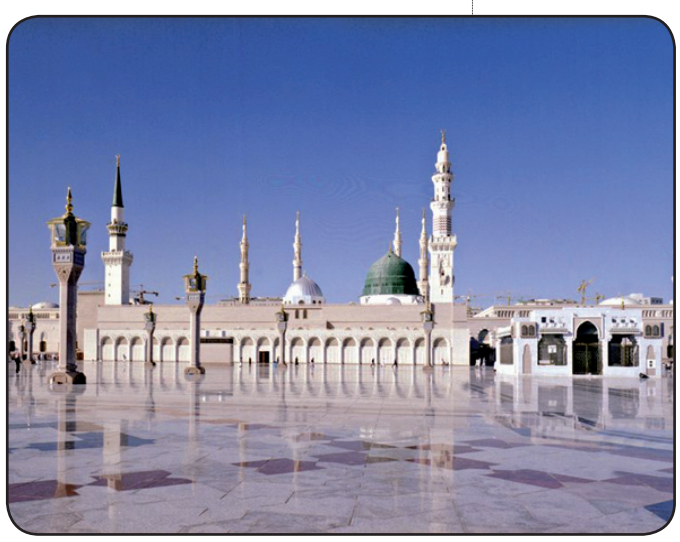

وهذا ليس خاصا بالصلاة فقط، بل هو عام في كل خير، ورأس الخير الإيمان، فلا تشمت بأحد من عباد الله تعالى ولا تأمن أن تكون يوما مكانه، فأسأل الله العلي القدير لنا ولك الثبات والاستقامة.

---

1 – إشارة إلى حديث: «يغفر للمؤذن منتهى أذانه ويستغفر له كل رطب ويابس سمعه»، رواه أحمد والطبراني في الكبير، وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب 233.
2 – صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب: استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، رقم: 876.

نظرات في مفهوم الهجرة في القرآن الكريم

أ.د. الشاهد البوشيخي

الرحمة أعلى مراتب الثواب

يقول الله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾(سورة البقرة) الرحمة هي المنتهى، هي منتهى الطلب بالنسبة لجميع الأنبياء والرسل والصديقين والشهداء والصالحين، الكل يطلب أن يدخله الله في رحمته، كما قال موسى عليه السلام: ﴿رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك﴾(سورة الأعراف) والكل سيظفر بنعمة الله ورضوانه بمحض رحمة الله. لأن الرحمة هي منتهى الأمل، ومنتهى الجزاء.

إذا كان الله عز وجل قد طلب منا أن نؤدي ما خُلقنا له وهو العبادة ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فإنما ذلك لتحصيل درجة التقوى، ﴿اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعكم تتقون﴾(سورة البقرة)، والتقوى تعتبر وسيلة إلى ما هو أعلى منها وهو الرحمة ﴿واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾(الحجرات) وذلك هو المنتهى. إذن، لا وجود في نص بأننا يجب أن نَرْحَمَ لنظفر بشيء أكثر من الرحمة، إذ ليس فوق الرحمة شيء، فنسأل الله الرحمن الرحيم بفضل منه ورحمة، أن يدخلنا في رحمته برحمته سبحانه وتعالى.

من يرجو رحمة الله؟ الآية التي افتتحنا بها الحديث تضع صفات ثلاثا تَعِدُ أصحابها برجاء هاته الرحمة : الإيمان، والهجرة، والجهاد، ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾ فما الهجرة؟ وما رتبتها وموقعها؟ وما الثمرات التي تتحقق نتيجة الاتصاف بها؟

معنى الهجرة

الهجرة من أصل المادة الكبير الذي هو الهَجر، ومدار الهجر-بجميع اشتقاقاته- لا يخرج عن الترك أو القطع، واللفظ المستعمل في القرآن الكريم كثيرا في المعنى المقصود لدينا اليوم، ليس هو الثلاثي بل الرباعي، إذ نجد : هاجروا، ويهاجروا، والمهاجر، والمهاجرون، كل ذلك من الرباعي، فالهجر فيه ممتد، والقطيعة فيه كبيرة، والمصارمة كبيرة جدا، والترك والبت فيه كبير، أي لا حلقة وصل بين ما بعده وما قبله، كأن ما قبله وما بعده عالمان منفصلان، عالم ما قبل الهجرة، وعالم ما بعد الهجرة، انفصال كامل بين عالمين وبين مستويين وبين درجتين.

وجوب الهجرة من مكان الفتنة إلى مكان الأمن والعدل والاطمئنان

وهذا يقتضي آليا أن بين المهَاجَر منه والمهاجر إليه تناقضا تاما، في الأول الخوف وفي الثاني الأمن ، في الأول الكفر وفي الثاني الإيمان، في الأول الفتنة وفي الثاني التمكين، عالمان منفصلان،

لا مهاجر منه في القرآن الكريم إلا وفيه ما يوجب الهجرة ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا﴾ فهناك ظلم قائم في نقطة الانطلاق، لكن هناك وعد قائم في النقطة المنطلق إليها﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾(سورة العنكبوت) قد يصل هذا الوضع إلى الحد الذي يجب منه الخروج كما في قوله تعالى : ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ (سورة النساء) لِمَ إذاً لم تهاجروا؟ لم رضيتم بالاستضعاف؟ وبإمكانكم غير ذلك، هذا في فترة من الفترات حين يوجد المهاجَرُ الآمن الممكن فيه لأهل الله ولأولياء الله، إذ ذاك لا يبقى معنًى للاستضعاف في نقطة لا يكون فيها هذا التمكين ويكون فيها البلاء، لا يبقى معنى لأن لا يهاجر أولئك، بل إنهم إذا لم يهاجروا تسقط ولايتهم ونصرتهم ﴿ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾(سورة الأنفال) فالهجرة في المعنى الكبير عبارة عن انتقال أشباح يسبقه ويصاحبه انتقال في الأرواح، ترفعه درجة الإيمان في عباد ربانيين اتصلوا بالله وارتبطوا به، وذكروه، وشكروا له، وتبتلوا إليه، ثم اتخذوه وكيلا، وتعلقت قلوبهم به كل التعلق، فما عادوا يرون

متى وجد المهاجرون؛ بدأ العد العكسي للشر، وبدأ تاريخ الخير، فالهجرة هنا صفة للإيمان، والإيمان يكون عليه دليل في الواقع، يتمثل في أن العبد يهجر كل ما لا يرضي الله، ويتوجَّه للدين كلية، هذا هو معنى الهجرة الحقيقي

سواه، ما عاد لسواه عليهم سلطان أو حظ، صاروا مخلصين مخلَصين لله جل وعلا يتأثرون به وينقلون تأثرهم به إلى غيرهم، فهم يؤثرون في الخلق ولا يتأثرون بالخلق، بل يتأثرون بالخالق.

الهجرة بالأرواح قبل الهجرة بالأشباح

هذه النماذج التي ارتفع إيمانها، يبلغ بهم التعلق بالله إلى أن يتجردوا من كل متاع الدنيا، من كل ما يشدهم إلى الأرض، من كل ما يمنعهم من النفير، قال تعالى : ﴿مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾(سورة التوبة) كأننا نثقل إراديا، نجتهد في أن نكون ثقالا بدل أن نكون خفافا، لمَ يحدث هذا؟ يحدث عندما يكون الارتباط بالأرض كبيرا، ولا يحدث عندما تطلّق الأرض بجميع عناصرها ويرتفع العبد وتخف روحه، وتصعد إلى مولاها عزوجل، متى دعيت هرعت، أسرعت واستجابت، لأنها خفيفة وليست ثقيلة بعناصر الأرض. فالمهاجرون الذين سيعطى لهم هذا الوسام الرباني الرفيع، هؤلاء ما الذي حدث فيهم؟ حدث فيهم انتقال في الأرواح أولا، علا إيمانهم، تخلصوا وتجردوا لله تعالى، فتم الانتقال في الأشباح بعد الانتقال في الأرواح، هذا الانتقال الروحي قبل الجسدي هو الذي يجعل المهاجر يترك ماله، يترك بلده، يترك ما عنده، ويخرج بلا إله إلا الله محمد رسول الله، وحديث الهجرة المشهور يؤكد هذا المعنى حيث يقول : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله...» أي الهجرة ليست إلى مكان في الحقيقة، ولكن إلى معنى، الهجرة ليست إلى المدينة المنورة، وإن كان الشبح انتقل من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، ولكن انتقال الشبح ليس إلا دليلا وبرهانا على انتقال الروح إلى بارئها وخالقها معتصمة به متوكلة عليه متجردة له، معطية الدليل والبرهان على أنها خالصة لله، لاترضى بغير ذلك، واقرؤوا قوله تعالى : ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾(سورة الحشر).

لا توجد شهادة في القرآن كله لغير هؤلاء. فالشهادة من الله تعالى لمعنى الصدق، وليست شهادة لبشر يمشي على الأرض، اسمع إلى قول الله تعالى : ﴿إنما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون﴾ (سورة الحجرات) فهذا المعنى -معنى الصدق- نفسه تحقق، أين؟ في هذا الصنف من البشر، فله شُهد بالصدق في هذه الآية في القرآن كله ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾.

لقد حُبِّب للإنسان وطنه، والرسول ﷺ كان حنينه إلى مكة شديدا، وكذلك الصحابة، ولكن الله يبتلي، ولا تمكين قبل البلاء، ولا تمكين قبل دفع الثمن، ولا تمكين قبل الوصول إلى حد الخروج من حب النفس والمال والأهل والولد والأرض، لا بد من صفوة يمحصها الله جل جلاله حتى تصبح خالصة له، وعلى أساسها يبدأ ما يبدأ، ويكون ما يكون.

الهجرة انتقال من بلد الظلم للتمكين للعدل

الهجرة في حقيقتها هي الانتقال بالأشباح يسبقه ويصحبه الانتقال بالأرواح، أعيدها وألح عليها. وحين ننظر إلى الواقع التاريخي في الهجرة إلى الحبشة، في الهجرة الأولى، أو في الهجرةالثانية، أو في الهجرة إلى المدينة المنورة، أو في هجرة واكبت ذلك؛ بل حتى في الهجرة التي كانت في حياة الأنبياء السابقين، كل ذلك نلاحظ فيه أن المكان الذي تمت منه الهجرة، مكان فيه ظلم، مكان فيه عتو، ومكان فيه حرب وصد عن سبيل الله وفيه علو للكفر وفيه تمكن وسيطرة. والمكان الذي يتم إليه الانتقال، بعكس ذلك، يكون فيه أمان، وقبل أن ينتقل هؤلاء وحتى يمحصوا لا بد من تلك المرحلة.

ولكن المهم، هو أن تثمر ثمارها في تخريج صنف من الناس لم يعد هناك شيء يصرفهم وينافس في قلوبهم حُبَّ الله تعالى كائنا ما كان ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾(سورة التوبة)، الله عز وجل لا يقبل أن يزاحمه في قلب العبد سواه؛ وذلك لا بد عليه من برهان، وأكبر برهان هو هذه الهجرة، حيث يخرج الناس ليس معهم شيء من حطام الدنيا، ويتركون كل شيء وراءهم، ماذا معهم؟ معهم دينهم، ومن أجل دينهم يفعلون ذلك، معنى هذا أنهم قدموا دينهم على دنياهم؛ معناه أنهم قدموا الله جل جلاله، على من سواه، يعني أنهم صاروا عبادا لله حقا كما عبرت الآية : ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾ (سورة التوبة)

فهذا المعنى للهجرة يجب أن نتأمله وأن نفقهه مما تعطيه نصوص القرآن سواء نظرنا إلى أصلها في السيرة؛ أو لم ننظر، لأن الآيات المتحدثة عن الهجرة تجعل أصحابها في رتبة معينة عالية جدا، هي بحسب هاته الآية المفتتح بها وجميع الآيات على هذا الترتيب : آمنوا وهاجروا وجاهدوا، فإذن هناك ثلاث صفات لا يتم التمكين بغير وجودها، والهجرة واسطة العقد فيها، فهي برهان الإيمان، والإيمان هو الأساس ومنه المنطلق.

امتداد الهجرة في الزمان والمكان

ولكن ما دليل هذا الإيمان في الخارج؟ الدليل هو الهجرة، والهجرة بذلك المعنى الذي جرده رسول الله ﷺ في حديثه المشهور : «المهاجر من هاجر ما نهى الله عنه» هذا المعنى الممتد الذي كان للمهاجرين الأوَّل الذين سموا بالمهاجرين. وهو المعنى الموجود الآن وفي كل زمان، الهجرة بهذا المعنى ممتدة، وفي كل وقت يجب أن يكون هناك مهاجرون، بل متى وجد المهاجرون؛ بدأ العد العكسي للشر، وبدأ تاريخ الخير، فالهجرة هنا صفة للإيمان، والإيمان يكون عليه دليل في الواقع، يتمثّل في أن العبد يهجر كل ما لا يرضي الله، ويتوجَّه للدين كلية، هذا هو معنى الهجرة الحقيقي، وحين يأتي هذا المعنى يبدأ التأسيس الصحيح للمعنى الثالث الذي هو الجهاد، لإعلاء كلمة الله، فهل يمكن أن يكون هناك جهاد دون هجرة؟ لا يمكن، لا يمكن أن يُخرَّج المجاهد قبل أن يهاجر بهذا المعنى الذي أتحدث عنه؛ لا بد أن يخلص أولا لربه ليستطيع أن يجاهد في سبيل الله. فهناك الجهاد في أشكال مختلفة وفي سبل مختلفة؛ ولكن لا يستطيع أن يجاهد في سبيل الله إلا الذي هاجر في سبيل الله، فهاته الصفات مترتبة بعضها على بعض، لا بد أن يجاهد الإنسان نفسه في ذات الله بهجر ما لا يرضي الله،، ليتأهل للرتبة الثالثة. تقع صفة الهجرة في الوسط هي ثمرة لما قبلها ودليل وبرهان على الصفة السابقة، وهي مؤسِّسة لما بعدها وسبب فيما بعدها، ولا يأمر الله بالاقتصار على الهجرة دون جهاد ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتِنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾(النحل : 110) من بعدها، هذا الأمر في الواقع هو الوضع الطبيعي، إذ لا يتصور أن يدعى مهاجر إلى الجهاد ثم لا يجاهد، إلا إذا حدث خلل في صفة الهجرة نفسها، ولذلك في بدر-على سبيل المثال- عندما طلب رسول الله ﷺ رأيا من أصحابه حول ماذا يفعل مع العير والنفير، هل يتجه إلى ذات الشوكة أم إلى الجهة الأخرى؟ الذين استجابوا أوَّلاً هُمُ المهاجرون، فما خرجوا إلا لهذا، يعني ما خرجوا من أموالهم وديارهم إلا لنصرة الله ورسوله يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله، ولكن الرسول ﷺ أعاد ثم أعاد حتى جاءت نصرة من الأنصار. فلذلك أقول : الهجرة بذلك بالمعنى الدقيق الذي طبق في التاريخ يوما، تستوجب الجهاد، لان الناس قبل الهجرة كانوا ينفذون قول الله ﴿كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾(سورة النساء) ليصيروا عباد ا لله مقدمين له على ما سواه، فإذن رتبة الهجرة وموقعها واضح من الآيات حيث يأتي بعد الإيمان وقبل الجهاد؛ يأتي بعد الإيمان ثمرة له وبرهاناً عليه، ويأتي قبل الجهاد أساسا له ووسيلة وسببا أيضا في تحقيقه وجعله خالصا لله عزوجل.

هذه الرتبة، كما تُظْهر الصفات، تَظْهَرُ هي أيضاً عند الاتصال بها بصورة أعلى من هذا. ذلك أن هناك تصنيفا ثلاثيا للمؤمنين ينص عليه القرآن هو ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ (التوبة : 101). الرتبة الأولى يحتلها المهاجرون، ولا يحتلونها دون وجود الصفة الثالثة (الجهاد) لأنها من المستلزمات. هناك تلازم بين الهجرة والجهاد، ومما يشير إلى ذلك الآية : ﴿إن الذين

←

الهجرة المستمرة

العلامة محمد يعقوبي خبيزة
رحمه الله تعالى

إن الهجرة المستمرة على مستوى الأفراد هي الهجرة المعنوية من المعاصي والذنوب والآثام ...وهي هجرة لازالت باقية على الدوام مطالب بها كل مسلم ومسلمة في كل زمان ومكان بمقتضى قول النبي ﷺ :المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ،والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والمومن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»

ولذلك فإن على أفراد المسلمين أن يبادروا إلى هجرة الأهواء والإقلاع عن المعاصي والآثام بأن يتوبوا إلى الله توبة نصوحا تطبيقا لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من بحتها الانهار...﴾(التحريم:-8).

أما الهجرة المستمرة على مستوى كل دولة إسلامية فنستفيدها من الأعمال التي قام بها النبي ﷺ إثر الهجرة و حلوله بالمدينة المنورة :

فبمجرد ما أن وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أمر ببناء المسجد ليكون مقرا للدعوة ومنطلقا للاصلاح والهداية.. وآخى بين المهاجرين والأنصارإيخاء جعل الانصاري يعرض على المهاجري أن يطلق له إحدى زوجاته ليتزوجها هو من بعده...

وبعد أن تم بناء الجبهة الداخلية بهذه المؤاخاة أخذ رسول الله ﷺ يرسل السرايا الصغيرة لمناوأة الأعداء ولتدريب رجاله رضي الله عنهم من حين إلى حين على وسائل الهجوم والدفاع ...حتى يضمن رفع مستواهم العسكري -كما رفع مستواهم العقدي-تمهيدا للمعارك الفاصلة التي سيخوضونها -فيما بعد- مع المناوئين والتي انتهت بالفتح المبين والنصر المؤزر المكين للإسلام والمسلمين والرسول الصادق الأمين.

وهكذا تم تنظيم أول مجتمع إسلامي في الوجود بالمدينة المنورة مؤطرا بأول دولة إسلامية في التاريخ فتحقق بواسطتها المجتمع الانساني الكامل القائم على العدل والمساواة والتعاطف والرفق والاحسان والإخاء والتضحية والفداء والعزة والكرامة والسخاء ...مما جعل المدينة المنورة بمجتمعها هذا هي المدينة الفاضلة التي ظلت حلما لذيذا يراود خيال الفلاسفة والمفكرين دون أن يصلوا إليه...ولن يصلوا إليه إلا إذا برزت فيهم دولة -كتلك الدولة التي تكونت في المدينة إثر هجرة الرسول ﷺ إليها- قائمة على شريعة الله مطبقة لمنهجه في سائر نواحي الحياة ...حتى إذا ما توهج مصباحها عم العالم خيرها وانتشر في الخافقين هديها مكونة حضارة تشرف الإنسان وتبوئه مكانته الحقة التي أرادها الله له عندما استخلفه في الأرض ومنحه السيادة على العالمين...

ولذ فإنه لما كان عهد سيدنا عمر رضي الله عنه واحتاج المسلمون الى اختيار حادث مهم يتخذونه منطلقا للتأريخ الاسلامي فإنه رضي الله عنه اختار لذلك حادث الهجرة واختار شهر المحرم الذي ابتدأت فيه هجرة الصحابة من مكة إلى المدينة ليكون أول شهر يؤرخ به المسلمون لحوادثهم ويضبطون به تواريخهم مبررا اختياره هذا بقوله :...بل نؤرخ بهجرة رسول الله ﷺ فإن هجرته فرق بين الحق والباطل.

ولذلك فإن على القائمين بشؤون الدول الاسلامية أن يبذلوا الجهد المتواصل لحمل مجتمعاتهم على العدل والمساواة والتعاطف والرفق والاحسان والإخاء والتضحية والفداء والعزة والكرامة والسماحة والسخاء ...في إطار دولة إسلامية تؤمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا ...فتعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية في سائر مجالات الحياة ...تنفيذا لمقتضى قول الله سبحانه : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾(الجاثية :18).

إن ذكرى الهجرة تعيد إلى ذهن كل مسلم ومسلمة صمود المسلمين أمام تحديات أعدائهم وثباتهم على عقيدتهم والدفاع المستميت عن كيانهم وبذل جميع التضحيات في سبيل عزتهم وإعلاء دينهم والعمل بكل الوسائل لفرض وجودهم ونصرة قضيتهم وبذل الجهد المتواصل للرفعة والسمو بمجتمعهم ...

وليس هناك أنبل ولا أسمى من هذه المعاني تنبعث وتتغلغل في كيان الأمة الاسلامية على الدوام- وخاصة في الظروف الراهنة التي يواجه فيها المسلمون تحديا سافرا من الصهيونية الحاقدة ،والراسمالية الباغية والعولمة الماكرة... التي تعمل جاهدة لإضعاف نفوس المسلمين ونخركيانهم والقضاء على مقدساتهم والسيطرة على خيراتهم والاستيلاء على بلادهم ..وما احتلال فلسطين والقدس الشريف واستعمار أفغانستان واختلاق مشكل العراق.. إلا نماذج لذلك التحدي السافر الذي يعرفه المسلمون في ظروفهم المعاصرة..

فعسى أن تكون هذه الضربات مهمازا تلفت المسلمين إلى مالديهم من مقومات تمكنهم من التغلب على مختلف ضروب المعوقات ...بل وتمكنهم من حمل لواء قيادة الانسانية من جديد كما حملها سلفهم من الانصار والمهاجرين .مصداقا لقول النبي ﷺ -فيما رواه البخاري - «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا».

وإن الظروف المادية والمعنوية لمساعدة على أن يقوم المسلمون بدورهم الريادي نحو الإنسانية في حياتهم المعاصرة : فعدد المسلمين مليار ونصف المليار نسمة - أي ما يبلغ ربع سكان العالم تقريبا- وهذا العدد يزداد باطراد بسبب النمو الدمغرافي والإقبال المتزايد على اعتناق الإسلام ...ويصاحب ذلك بطبيعة الحال زيادة وصول العناصر المسلمة إلى مراكز القيادة مما يمكن من اتخاذ القرارات المنسجمة مع تعاليم الاسلام.

كما أن العالم الاسلامي يملك ثروات طبيعية ومواد أولية ومصادر الطاقة...تمكنه من أن يكون متحكما في القوى العالمية، وحتى في حالة التحول إلى الطاقة الشمسية...- بدلا عن البترول - يظل العالم الاسلامي المستودع الاول لهذه الطاقة في حين تتعرض فيه الدول المتقدمة خلال الثلاثين سنة القادمة -كما يتنبأ بذلك الخبراء-إلى الزحف الجليدي وجفاف الاراضي الزراعية ...

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الإنسان المعاصر قد أيقن بأن سائر الإ ديولوجيات الوضعية شرقية وغربية قد فشلت في تحقيق العدالة الاجتماعية على مستوى المجتمعات والأمن النفسي على مستوى الأفراد وأن العلم التكنلوجي - أو الاقتصار عليه- قد حطم القيم الإنسانية والروحية بصفة عامة دون أن يقدم بديلا لها نابعا من الدين كفيلا بترشيد السلوك.... الأمر الذي جعل الانسان المعاصر يبحث عن عالم جديد تسوده القيم وتتحكم فيه المثل حتى يتخلص من التمزق والضياع والغربة والتفاهة ...التي وجد نفسه فيها في أتون الحضارة المعاصرة...

...وما لم يتقمص المسلمون روح الأنصار والمهاجرين بالتمسك بحبل دين الاسلام المتين ...والوقوف صفا واحدا -بأنفسهم وأموالهم وسائر إمكاناتهم داعين إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن... فإنهم يكونون متخلفين عن روح الهجرة ومتخلفين عما حملهم الله إياهم من مسؤولية القيام باستمرار بشؤون الدعوة التي حملوها بمقتضى قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولائك هم المفلحون﴾(آل عمران:104).

حقا إن عيد الهجرة لعيد فريد وعهد للإنسانية جديد، فمنه انبعث الخير يملأ أقطار الدنيا ويحمل شريعة كلها أمن وسلام وحرية وفضيلة واطمئنان ...كلها هدى ونور وشفاء لما في الصدور.. فلتمتلئ قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بمعاني الهجرة الخالدة جاعلين من ذكراها حدثا مستمرا باستمرار العصور مقتبسين من أسرارها سراجا يضيء لهم مسيرتهم المظفرة نحو المجد والرفعة والسؤدد من جديد حيث يتحقق لهم ما وعدهم به ربهم في محكم كتابه بقوله المبين: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولائك هم الفاسقون﴾(النور:53).

←

آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله» فالهجرة والجهاد متلازمان لا يتصور الجهاد دون الهجرة، ولا هجرة لا تؤدي إلى الجهاد. فإذن صفة الهجرة حين ينظر إليها في علاقتها بمن اتصف بها، تؤهل أصحابها للرتبة الأولى، وبعدهم يأتي الأنصار وبعد الأنصار يأتي الذين اتبعوهم بإحسان.

فإذن رتبة الهجرة عالية وموقعها رفيع بالتطور بهذا الدين نفسه، وفي المعنى المستمر، وفي المعنى التاريخي الذي كان، ولذلك بني عليها ثمرات نادرة المثال، وأول ثمرة التمكين في الأرض كما تشير إلى ذلك الآية ﴿ومن يُهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مُرَاغَمًا كثيرا وسَعَة﴾ مكان يمكن أن يُرغم فيه عدوَّه وَيْقهره، أي مكاناً للمراغمة، مكاناً للإرغام. هذا الذي تشير إليه الآية رأيناه في التطبيق التاريخي، سواء بالنسبة لأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين، أومن قبله كما وقع لسيدنا إبراهيم أو سيدنا لوط عليهما السلام....

من ثمرات الهجرة

■ فإذن أول ثمرة للهجرة بالمعنى الذي نتحدث عنه هو التمكين في الأرض، لأن المكان الذي هاجر المهاجر إليه يكون مخالفا للمكان الذي هاجر منه.

الهجرة الرسمية ليست الهجرة إلى الحبشة، هناك كان الأمن ولم يكن التمكين بهذا المعنى، ولكن في الهجرة الرسمية التي أُذن فيها وأُمر بها، كان التمكين، والنصر هبة من الله ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾.

فانعم سبحانه وتعالى -وقد علم من قلوب هؤلاء ما علم ورأى من أحوالهم ما رأى- بنقطة أرض يستقرون فيها، في المدينة المنورة، بداية لتأسيس الخير، إذ ذاك تبدأ ثمرات أخرى.. فالتمكين أول ثمرات الهجرة إلى الله جل وعلا، ﴿الذين إن مكانهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾.

■ الثمرة الثانية ثمرة أمة الجسد، لأن المسلمين قبل الهجرة يكونون عادة مشتتين في نقط مختلفة، فإذا هاجروا إلى نقطة بعينها وفتح لهم في الأرض ومُكِّن لهم فيها؛ تجمعوا فأمكن لهم إذ ذاك أن تتشكل منهم الأمة التي شبهها الرسول ﷺ بالجسد في الحديث المشهور «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». ولا يعرف الآن شكل من أشكال التجمع البشري المتلاحم المتكافل المتضامن مثل حال الجسد، الجسد أكبر مظهر لهذا التلاحم والتآزر والتنظيم، وتوزيع المسؤوليات ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ تأمل نفسك تجد العجب العجاب، هذا الكيان الغريب كيف بني؟ وكيف تتكامل قطعه وتتآلف فيما بينها وتتراحم حتى مثل به رسول الله ﷺ هذا المثل المشهور : إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، جزئية واحدة يحدث فيها الإشكال تجد الجسم كله يدعو بعضه بعضا ليتساندوا وتعلن حالة الطوارئ في الجسد كله، وترتفع درجة حرارته؛ وهذا صار عند الأطباء اليوم من البديهيات، أي أن درجة الحرارة ترتفع من باب الوقاية العامة ومحاربة ميكروب معين ومنع نموه وتكاثره، وكلما ارتفعت درجة الحرارة كانت المحاصرة كبيرة. المقصود عندنا أن هذا التداعي هو بهذا الشكل في الجسد كله. فتبارك الله أحسن الخالقين. كتيب قديم أحب أن يقرأه الشباب (معارك وخطوط دفاعية في جسمك) من أمتع الكتب ليفقه الإنسان نفسه وجسمه.

رتبة الهجرة عالية وموقعها رفيع بالتطور بهذا الدين نفسه، وفي المعنى المستمر، وفي المعنى التاريخي الذي كان، ولذلك بني عليها ثمرات نادرة المثال، وأول ثمرة التمكين في الأرض

قلنا هذا المثال، (مثال الجسد)، مثال الأمة التي يمكن أن تنتج وتتآلف من جمع المهاجرين المتجردين لله، وممن نصرهم وهم الأساس، فالأمة الجسد من ثمرات الهجرة. والجهاد نفسه هو من ثمرات الهجرة، الجهاد انطلاقا من أرض، لأن الجهاد قبل ذلك يكون جهاد القلب وجهاد اللسان، ولكن عندما تطهر الأرض يبدأ الجهاد باليد لأنه قبل ذلك تحدُثُ فتنٌ ويختلط الحابل بالنابل، ولكن بعد أن تستبين سبيل المجرمين، يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

فالجهاد نفسه ثمرة من ثمرات الهجرة ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ قبل ذلك لم يأذن لهم، ﴿كفوا أيديكم، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾... بعد ذلك هناك إِذْنٌ، لأنه وجدت نقطة أرض يُنطلق منها ويرجع إليها وفيها جمعٌ من المؤمنين يمثل جسدا واحدا متراصا يحمي نفسه من سواه ويؤسس ذاته على أساس متين في معنى أولي للجهاد. فالجهاد إذن، هو جهاد البناء، أولا وأخيراً ومرحلة الهجرة هي مرحلة الوسط، فيه وانظروا إلى السيرة، فهي أيضا في مرحلة الوسط قبل ثلاث منها كانت الدعوة غير ظاهرة غير منظورة قبل ﴿اصدع بما تومر﴾، أما عندما ظهرت الدعوة وأمر رسول الله ﷺ بالصدع بما أُمِرَ، ثم بعدها بعشر سنين قبض رسول الله ﷺ.

المرحلة الأولى مرحلة إيمان، والمرحلة الثانية مرحلة جهاد، والنقطة الفاصلة الحاسمة الناقلة هي الهجرة، والثمرة الرابعة هي هذا التاريخ الممتد.

نحن الآن من أين بدأ تاريخنا ومتى بدأ؟ من هذا الحادث العظيم بدأ، فالهجرة وجمع المهاجرين، هو بمثابة خلاصة تصطفى وتصفى وتختار. بعد ذلك يبدأ التاريخ :تعطى له الأرض، ويعطى له الجهاد، ويعطى له الانطلاق التاريخي، فالهجرة هو تحول إذن في القلوب يصير إلى درجة عالية، ينتج عنه تحول في التاريخ المتصاعد بناءً وقوة ايمان

المسجد الأقصى المبارك: الهوية والعقيدة

د. تيسير التميمي(*)

ربط الله تعالى بين المسجد الأقصى المبارك وبين المسجد الحرام ربطاً عقائدياً مصيرياً؛ فيه لفت نظر للمسلمين أن ضياع أحدهما ضياع للآخر، بل ضياع لمقدسات الإسلام جميعها، فارتبطت هذه المدينة المقدسة بالإسلام، وارتبط المسلمون بالقدس أكثر مما ارتبطوا بأية مدينة أخرى بعد مكة والمدينة، ذلك أنها تتمتع بمركز روحي وتوحيدي للأمة كلها وتتبوأ مكانة خاصة في عقيدتهم وفي تاريخهم وتراثهم.

فعلى مر التاريخ الإسلامي أولاها الخلفاء والقادة والأمة من ورائهم بالرعاية والحراسة، وبالتقديس والتكريم، فاستقرت في قلوبهم وضمائرهم، ورووها بدمائهم، وسيَّجُوها بأرواحهم، فما تعرضت مدينة القدس أو مسجدها الأقصى المبارك يوماً لغزو أو احتلال أو مساس إلاَّ هبت الأمة لتحريرها ورد العدوان عنها، فكانت من أبرز عوامل توحيد الأمة.

حفظ الله سبحانه وتعالى مدينة القدس وأرضها المباركة من كل الغزاة والمحتلين على مر التاريخ، ويقيننا الراسخ أن الله سبحانه وتعالى سيقيض لها من الأمة ومن أهلها المرابطين من يحميها ويحررها من جديد، فأهمية هذه المدينة وقدسيتها والمكانة العقائدية للمسجد الأقصى المبارك لدى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها جعلتها مطمعاً للغزاة، ويمثل الاحتلال الإسرائيلي الغاشم لها ولأرض فلسطين كلها أبشع صور غزوها على مر التاريخ، فهو يدنس المقدسات وينتهك الحرمات، ويشدد الإجراءات بمنع المصلين من دخول مدينتهم المقدسة والصلاة في مسجدهم الأقصى المبارك؛ في الوقت الذي يسمح فيه للمستوطنين والجماعات اليهودية بدخوله وتدنيسه، ويحيك المؤامرات بالليل والنهار ويرسم المخططات ويفرضها لتصبح أمراً واقعاً، ولعل آخرها محاولته فرض التقسيم الزماني والمكاني فيه بين المسلمين واليهود على غرار ما فعل بالحرم الإبراهيمي الشريف في مدينة الخليل ﷺ ، ويواصل الحفريات لتقويض بنيان المسجد وهدمه بهدف إقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه، ويعمل على عزل المدينة المقدسة عن محيطها الفلسطيني والعربي والإسلامي بالجدار العنصري الفاصل، وبحزام من المغتصبات يحيط بها لتكون قراه المحصنة، فصدق فيهم قول الله تعالى ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾(الحشر 14).

ولأن المسلمين علّموا ما تمثله مدينة القدس المباركة في عقيدتهم تعلقت بها قلوبهم، واعتبروا التخلي عنها تفريطاً في العقيدة لا يمكن أن يصبروا عليه لأنه طعنٌ لهم في عزتهم وكرامتهم ومظهرٌ لهوانهم. وقد شهد القرن الماضي في بدايته ثورة البراق سنة 1929م أول ثورة ضد اليهود الطامعين في القدس وفلسطين من أجل المسجد الأقصى المبارك، وشهد مطلع القرن الحالي في بدايته كذلك انتفاضة عام 2000م الثورة المتواصلة، على أرض الواقع ضد اليهود المحتلين للقدس وفلسطين من أجل المسجد الأقصى المبارك.

المسجد الأقصى المبارك للأمة كلها وليست للفلسطينيين وحدهم، فمن لك يا أرض الإسراء؟ ومن لك يا قدس ومن لأهلك ومن لأقصاك؟ هل سيأتيك الفاروق عمر من وراء الغيب؟ أم سيُبْعَثُ صلاح الدين من جديد؟

وكانت آيات القرآن الكريم عن المسجد الأقصى المبارك وأحاديث الرسول ﷺ، عن مكانته وفضل الصلاة فيه من المبشرات بأن القدس سيفتحها الإسلام، وبأنها بكل أرضها وترابها إسلامية الهوية، وبأن مسجدها الأقصى المبارك الذي صلى فيه رسل الله وأنبياؤه مؤتمين برسول الله محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج سيكون للمسلمين وحدهم يختصون به، وهذا ما كان؛ ففتحت القدس في العام الخامس عشر للهجرة.

والبداية كانت بالفتح العمري الذي كرّس إسلاميتها، ورسّخ طابعها الإسلامي العميق، فقد فتحت دون أن تراق فيها قطرة دم، واشترط بطريقها الأكبر أن يسلم مفاتيحها للخليفة نفسه، فخرج عمر من المدينة المنورة إلى القدس المباركة في رحلة تاريخية خالدة، وتسلم مفاتيحها دون سائر المدن المفتوحة، وعقد مع أهلها اتفاقية الأمن والسلام «العهدة العمرية» التي تمثل أساساً للعلاقات بين المسلمين والمسيحيين في هذه الأرض المباركة، والتي يسير الطرفان على هداها في تعاملهم حتى اليوم، أمنهم فيها على معابدهم وعقائدهم وشعائرهم وأنفسهم وأموالهم، وتعهد لهم بعد إصرارهم ألاَّ يساكنهم فيها أحد من اليهود، وشهد على وثيقتها عدد من الصحابة. وأقام فيها مسجداً حيث لم يكن فيها معبد ولا كنيس ولا هيكل؛ إذ لو وجد من ذلك شيئاً لحافظ عليه كما حافظ على كنيسة القيامة.

وعقب قرون من الاستقرار في ظل دولة الإسلام شهدت مدينة القدس أياماً عصيبة باحتلال الفرنجة قاربت قرناً من الزمان، عانى فيها المسلمون المرارة والبلاء والألم، فتولد لديهم الأمل والتلهف لاسترجاعها والجهاد في سبيل الله من أجل تحريرها، هذا بالإضافة إلى التعلق الروحي بها، فتحولت المدينة المقدسة بعد احتلالها إلى رمز الجهاد والتحرير.

نزح مسلمو القدس والمدن الشامية الأخرى الساحلية مع من نزحوا عن بلادهم تحت ضغط المذابح التي ارتكبها الفرنجة؛ فاستقبلهم نور الدين زنكي في دمشق وقرّب علماءهم، فثابروا على مساندة الجهاد وشاركوا في جيش نور الدين ومن بعده صلاح الدين الأيوبي الذي حررها من الفرنجة في ذكرى الإسراء والمعراج عام 583 للهجرة بعد موقعة حطين، بعد أن ذبح المحتلون الغاصبون أكثر من سبعين ألف مسلم في ساحات المسجد الأقصى المبارك، أما هو فلمّا تمكّن منهم استحضر قول الله تعالى ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾(النحل 126)، لم ينتقم منهم؛ بل خيّرهم بين العودة من حيث أتوا أو البقاء في ظل رعاية الإسلام وسماحته؛ وهذا يثبت أن المسلمين على مر الأيام هم المؤهلون للسيادة على الأرض وحماية الإنسان والمقدسات.

وفي رمضان عام 658 للهجرة كانت معركة عين جالوت بقيادة المظفر قطز شاهداً آخر على قيام الأمة بفريضة تحرير بيت المقدس وتخليصها من براثن الأعداء، فقد تصدى كل من الظاهر بيبرس والمظفر قطز للغزو الوحشي التتري الذي اجتاح العالم الإسلامي إلى أن انهزموا شر هزيمة.

ثم تجددت الحملات الصليبية التي استولت على أجزاء أخرى من أرض فلسطين ، لكن تم تحريرها نهائياً في عام 690 للهجرة على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون الذي نال شرف إنهاء وجود الفرنجة في بلاد الشام وفلسطين والقضاء على كل معاقلهم فطويت بذلك صفحتهم.

ولنا أن نستذكر قصة منبر صلاح الدين في استنهاض وحدة الأمة لإنقاذ القدس من احتلال الفرنجة، فقد أمر نور الدين زنكي ببناء المنبر لوضعه في المسجد الأقصى المبارك يوم تحريره، فلما تم إنجازه بعد وفاة نور الدين حمله صلاح الدين وطاف به البلاد الإسلامية لجمع كلمتها وتوحيد صفها، وهذا ما كان؛ فقد تحررت القدس واكتملت فرحة الأمة بتطهير المسجد واسترداده من براثن احتلال الفرنجة، نظف المقدسيون والفاتحون المسجد الأقصى المبارك مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير، وأُعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية، وغُسلت الصخرة بالماء الطاهر، وأعيد غسلها بماء الورد والمسك، ووضع المنبر في مكانه إلى جانب المحراب، ولما أذّن المؤذنون للصلاة قبل الزوال، كادت القلوب تطير من الفرح، وصدر من السلطان الناصر المرسوم الصلاحي وهو في قبَّة الصخرة بأن يكون القاضي محيي الدين بن الزكي خطيب الجمعة، فألقاها القاضي من على منبر صلاح الدين.

واليوم يتعرض المسجد الأسير لأخطار حقيقية داهمة؛ ويدنس يومياً ممن لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، ولا يراعون حرمة لدين أو تشريع أو قانون على مرأى ومسمع من العالم كله؛ بل على مرأى من الأمة التي أصابها الوهن فلا تحرك ساكناً، فازداد المعتدي الغاشم تمادياً في جرائمه ضد المسجد الأقصى المبارك وأرض الإسراء والمعراج، وضد أهلها المحاصرين الذين لا يجدون إلاَّ الثبات والصبر والمرابطة في أرضهم؛ ينوبون عمن تخلّوْا عن واجبهم ومسؤوليتهم نحوها، فالمسجد الأقصى المبارك للأمة كلها وليست للفلسطينيين وحدهم، فمن لك يا أرض الإسراء؟ ومن لك يا قدس ومن لأهلك ومن لأقصاك؟ هل سيأتيك الفاروق عمر من وراء الغيب؟ أم سيُبْعَثُ صلاح الدين من جديد؟

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران 200) .

(×) قاضي قضاة فلسطين رئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعي سابقاً أمين سر الهيئة الإسلامية العليا بالقدس

عمدة الأدلة الصهيونية

د. محمد عمارة

إن دليل العمدة للصهيونية على امتلاك القدس وتهويدها واحتكارها وجعلها «بيت اليهود» وحدهم، هو ما جاء في أسفار العهد القديم، وتحديدا في سفر التكوين، مما أسموه «وعد الله» لإبراهيم ﷺ بامتلاك الأرض المقدسة له ولذريته، ومن هذه النصوص:

1 – «فقال الرب لإبرام ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا لأن جميع الأرض التي أنت ترى أعطيها لك ولنسلك إلى الأبد» تكوين 13: 14، 15.

2 – «واجتاز إبرام في الأرض من مكان شكيم إلى لوطة موره، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لإبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض» تكوين 12: 6، 7.

3 – «وفي ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» تكوين 15: 18.

ونحن سنعتمد في تفنيد هذا الدليل العمدة على منطق النقد الداخلي للنصوص، وهو منهاج سليم ويسلم به العقلاء من كل الديانات والفلسفات والثقافات والحضارات، وبهذا المنطق يستبين:

1 – تناقض نصوص هذا «الوعد»، فمرة يكون الوعد بهذه الأرض لإبرام ونسله من بعده، ومرة يكون الوعد لنسل إبراهيم من دونه!.

2 – ثم – وهذا هام جدا – ما هي حدود هذه الأرض الموعودة ومساحتها؟ إذ مرة تكون مساحتها هي مساحة الأرض التي تراها عيون إبراهيم وهي مساحة يستحيل تحديدها الآن!، ومرة نراها محددة بأرض كنعان، الأمر الذي يستدعي التساؤل: هل كانت عيون إبراهيم تبصر جميع أرض كنعان؟!.

ومرة ترى هذه الأرض شاملة لما بين النيل والفرات؟! مما يستدعي السؤال: هل كانت أرض كنعان شاملة لما بين النيل والفرات؟! وهل كانت عيون إبراهيم تبصر ما بين النهرين؟! وذلك فضلا عن وصف الفرات بالنهر الكبير دون نهر النيل الذي هو أطول أنهار الدنيا على الإطلاق؟!.

وانطلاقا من هذه التناقضات الصارخة داخل نصوص هذا «الوعد» الذي جعلوه مقدسا، يتساءل العقل المجرد والمحايد عن إمكانية بناء الأوطان والدول والحقوق على مثل هذه الوعود؟!.

وفوق كل ذلك، يأتي النقد الداخلي للكتاب الذي وردت فيه نصوص هذا «الوعد»، ولقد تكفل علماء يهود كبار بنقد نصوص العهد القديم، ونشروا هذا النقد في كتاب حرره ونشره العالم اليهودي «زلمان شازار» بعنوان «تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث»، ولقد ترجم الجزء الأول من هذا الكتاب بواسطة المركز القومي للترجمة بوزارة الثقافة المصرية عام 2000م، وفي هذا الكتاب برهان قاطع على:

1 – إن العهد القديم قد بدأت كتابته بواسطة أحبار اليهود في القرن الخامس قبل الميلاد، أي بعد ثمانية قرون من عصر موسى عليه السلام.

2 – أن سفر التكوين –الذي جاء به هذا «الوعد» لم يدون إلا في القرن السابع قبل الميلاد– أي بعد سبعة قرون من عصر موسى.

3 – وبنص هذا النقد الداخلي للعهد القديم، الذي شهد به العلماء اليهود، فإن «هذه الأسفار المقدسة هي من طبقات مختلفة، وعصور متباينة، ومؤلفين مختلفين، فلا ارتباط بينهما، سواء في أسلوب اللغة أم في طريقة «التأليف».

فهل تصح في العقول والأفهام أن تقام الأوطان على ما هو أو هي من بيت العنكبوت؟!.

شعرية الرثاء عند الأستاذ عبد العلي حجيّج

ذ. محمد حماني

في البداية أود أن أشير إلى أن كلمتي هاته في شعر الأستاذ الدكتور عبد العلي حجيج لن تكون كلمة نقدية؛ وذلك للأسباب الآتية:

أولا: ليس الاهتمامُ النقديُّ ديدني.

ثانيا: لم تكتمل أدواتي النقديةُ بعدُ.

ثالثا: ليس في هذا المجال أزعج من كلمات النقد لفهم عمل فني، لأنها لا تؤدي سوى إلى ضروب من سوء التفاهم .

وإنما أحببت أن تكون هذه الكلمة كلمةً عاشقة ترتعُ على ملكة الذوق، وتكرعُ من مواطن الجمال الشعري. والشاعرُ الأستاذ الدكتور عبد العلي حجيج من شعراء الرثاء؛ ذلك بأن الرثاء هو الغرض الغالب على شعره – وإن كانت له قصيدة أو قصيدتان في مدح المصطفى ﷺ، وقصيدة "صفوف المجد" التي أنشدها في "المؤتمر الثاني للباحثين في السيرة النبوية" الذي أقيم بفاس أيام: 20/21/22 نونبر2014، (القصيدة في العدد الخاص عن المؤتمر، المحجة، ع: 432، ص: 23). وأربعة أبيات شعرية في رثاء المهندس عبد اللطيف الحجامي – رحمه الله، (واجهة المحجة، عدد خاص: 360). عدا ذلك نجد للشاعر قصائد يرثي فيها أساتذة كراما غادروا الحياة منهم: المفضل فلواتي، وعلي الغزيوي، ومحمد الدناي، ثم عبد السلام الهراس...، والرثاء يعد من "أصدق الأغراض الشعرية لأنه يخلو من الطمع والحاجة إلى المكافأة بل ينبع من الإخلاص والصدق، إنه لمحة وفاء تشرق في الروح وتنهمر مع الدموع وتنساب من الشفاه نشيدا مثخنا بالجراح موسوما بالصدق"؛ ولعل من المرثيات الرائعة التي ظلت تحتفظ بماء وجهها في تراثنا الشعري المائز قصيدة مالك بن الريب التميمي في رثاء نفسه، ومراثي شاعرة بني سُليم الخنساء في رثاء أخيها صخر، وقصيدة أبي ذؤيب الهذلي في رثاء خمسة من أبنائه الذين أصابهم الطاعون في عام واحد.

حقيقة أن هذه المراثي هي من عيون قصائد الشعر العربي التي يطرب لها كلُّ من سمعها، وتهتز لها مشاعرُه؛ لأنها نابعة من أعماق أصحابها. والرثاء من الأغراض الشعرية الشريفة عند العرب، وقد قال عبد الملك بن قُريب الباهلي الملقبُ بالأصمعي(تـ:216هـ)، لأعرابي: ما بالُ المراثي أشرف أشعاركم؟، قال: لأننا نقولها وقلوبنا محترقة (العقد الفريد، ابن عبد ربه، 183/3).

هذا وكأني بالشاعر الدكتور عبد العلي حجيج حين كان ينظم أشعاره في حق ثلة من الأساتذة الذين أودى بهم الموت، كان يرصع زمرد ألفاظه في عقد فريد، فكان يغمسها في محبرة وجدانه؛ فجاءت حباتُ العقد بديعة رائعة يجمعها خيط المحبة الصادقة، فتدفقت مشاعرُ الشاعر في شرايين قصائده كتدفق مياه الأنهار، والسواقي بين الحقول والبساتين الخضراء. يقول الشاعر الأستاذ عبد العلي حجيج في المقدمة التي افتتح بها قصيدته في رثاء الأستاذ علي الغزيوي – رحمه الله:

أمن حب الحياة طغى الكبارُ
ومن كره الممات نجا الصغارُ
ولكن العدالة حين تقضي
بحكم الحق ينكشف الغبارُ
وقد صار الزمانُ زمانَ سوء
وجوهُ الناس يعلوها انكسارُ
ترى الأرواح تسفكها جهارا
وحوش من موالينا شرارُ
وليس القتل في الأرواح شيئا
إذا ما قيس بالآلام عارُ
أليس الله قد أوحى بحكم
جعلناكم شعوبا للتعارُ
وننسى آدما منه جميعا
أتت كل الشعوب لها انتشارُ
حياة لا يقر لها قرار
وموت في ترصدها يدارُ

ثم يبدأ الشاعرُ في الحديث عن فضائل الأستاذ علي الغزيوي – رحمه الله، قائلا:

علوك ياعلي له منارُ
وغزوك للعقول له مسارُ
وسبقك في مراقي العلم أعلى
وأحسن ما يحليك الوقارُ
وفضلك في العلوم وقد تجلى
بيانك بالبنان له يشارُ

وهكذا يسترسل الشاعرُ في ذكر شمائل الرجل مذكرا بما كان يتحلى به في حياته، ويعضد قولَ الشاعر رأيُ الدكتور عبد السلام الهراس – رحمه الله، حين قال في حق الأستاذ علي االغزيوي: "وإني لأحمد الله أن وفقه وثلة من أصحابه من الشباب المغربي الطموح للاضطلاع بمهمة البحث العلمي الرصين الذي يراد به خدمة هذا البلد المبارك، والإسهام في نهضته العلمية والأدبية الشاملة على أسس سليمة ومتينة، مما يصل حاضرنا بماضينا المشرق، ويؤهل وطنه الذي اضطلع برسالة الجهاد بالغرب الإسلامي ليستعيد مهمته التاريخية في القيام بجهاد الفكر والبحث في المستوى المطلوب منه حضاريا" .

وفي هذه القصيدة التي نظمها في رثاء الأستاذ علي الغزيوي – رحمه الله، ركب فيها شاعرنا البحرَ الوافرَ، وهو ما نمثل له عروضيا كالآتي:

أمن حب الحياة طغى الكبار
ومن كره الممات نجا الصغار
0// 0/ 0//0 0// 0/0/
0// 0/0/ 0// 0/0// 0//
مفا علْتن مفاعلتن فعولن
مفا علْتن مفاعلتن فعولن

فـ "فعولن" تمثل عروض الوافر وضربه هي في الأصل "متفاعلن"، وقد طرأ عليها تغيير بالقطف – وهو تسكين الخامس المتحرك (اللام)، وحذف السبب الخفيف (/0) من آخر التفعيلة، فأصبحت "مفاعلْ" بوتد مجموع (//0)، وسبب خفيف (/0)، ولسهولة النطق بها حُوّلت إلى " فعولن".

وقد صرّع الشاعرُ في مطلع القصيدة. والتصريع: انتهاءُ آخر الشطر الأول، والشطر الثاني من المطلع بنفس الحرف، وكذا إحداث تغيير يلحق العروض لتوافق الضرب فينتهيان بنفس التفعيلة، وهذا ما حققه الشاعرُ في قصيدته، ويلجأ الشاعر إلى التصريع؛ لأنه يخدم موسيقية القصيدة. فالتصريعُ له قيمتان: قيمة دلالية سيميائية، من خلال رؤيتنا للحرف الأخيرمن الشطر الأول ترشدنا إلى أن روي القصيدة سيكون حرف الراء. أما القيمة الثانية فهي قيمة صوتية صرفة تتجلى في تناغم صوتي يسري في القصيدة في شكل تموجات أفقية تحدثه الحروف المتقاربة صوتيا مع حرف الراء. كما أن في هذا المطلع ترصيعا متقابلا (أمن حب/ ومن كره، الحياة/ الممات، طغى / نجا، الكبار/ الصغار)، فقد حقق هذا الترصيعُ المتقابلُ رنينا موسيقيا، وملأ الأذن نغما، وهز النفس شجنا.

وقد ركب الشاعرُ البحر الوافر؛ لأن نفسيته كانت متعبة ومتأثرة من فَقْد صديق عزيز عليه، وإذا كانت البُنى العَروضية تسعفنا في تأويل مضمون القصيدة، فإننا نستطيع القول: إن "العصب" – وهو تسكين الخامس المتحرك، عندما اجتمع مع "الحذف" سماهما واضعُ العروض العربي الخليلُ بْنُ أحمد الفراهيدي (تـ:170هـ)، قطفا (= عصب+ حذف)، قياسا على هذا؛ فإن الموت قطف، وخطف رجلا عزيزا على أهله، ومحبيه، وكأن الشاعر سُكِنت أنفاسه، ولم يقوَ على الكلام، وضاق لسانُه عن الرثاء، الذي عبّرت القصيدة التي بين أيدينا بقوة عن صدق مشاعره، وعن محبته العميقة. لذلك جاءت هذه القصيدة غارقة في جراحها، متعبة، وهذا ما جعلها متميزة بديعة راقية.

وإذا ما تركنا هذه القصيدة وولينا وجوهنا شطر قصيدة أخرى في رثاء الأستاذ المفضل فلواتي – رحمه الله، الموسومة بـ: "فارس الميدان" (المحجة، عدد خاص: 342، ص: 25) التي مطلعها:

موت جرت أقداره فشجاني
ما في الوجود كغصة الإخوانِ

وهي قصيدة ماتعة تبيّن بصدق عُلُوَّ كعب الشاعر في نظم القوافي؛ وكيف لا

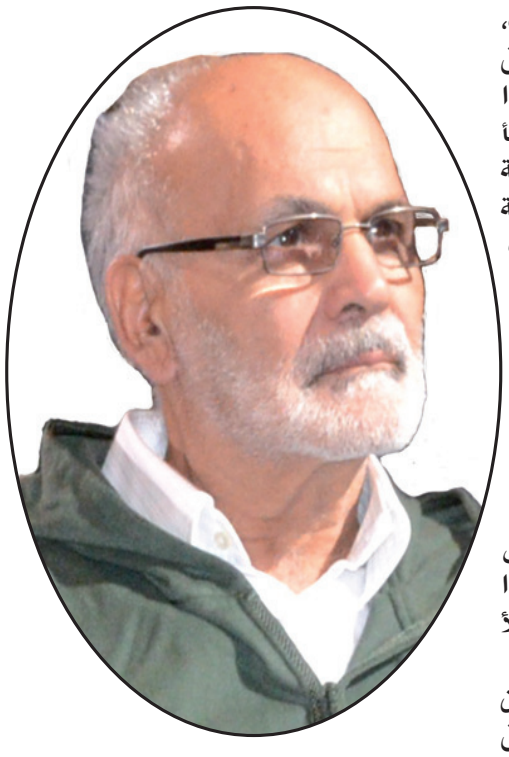

يكون كذلك – وهو الذي لازم أميرَ القوافي أحمد شوقي ردحا من الزمن في بحث أكاديمي أثناء الطلب العلمي بالجامعة، وكيف لا يكون كذلك – وهو من الأساتذة المبرّزين في تدريس العروض العربي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية / فاس.

والقصيدة جاءت على روي (النون)، والشاعر كان على وعي حين اختار حرف النون لما يحققه من أنين وانكسار في نفسية الشاعر وقارئ القصيدة. وقد وُفّق أستاذنا الشاعر عبد العلي حجيج في مرثياته، وليته لم يكن مقلا في أشعاره. فقد قرأ الأديبُ المحققُ والشاعرُ محمود شاكر بعضا من شعره على بعض من أحبائه وأودائه، فقال له أحدُهم: لماذا لم تواصل الشعرَ يا مولاي؟، فقال : تركته لمحمودَ حسن إسماعيل. وبحسبي أن أتساءل لمن ترك أستاذنا عبد العلي حجيج شعره؟

لعلي في هذه الكلمة لم أقل شيئا في فن الرثاء عند الشاعر الأستاذ الدكتور عبد العلي حجيج، وما يجب أن يقال فيه كثير، وحسبي هذه الكلمة الخاطفة، فمتى يا ترى يُجمع شعرُهُ، ويأخذ حظه من البحث والتأمل؟.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغـــرب : 60 درهم

■ خارج المغـــرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)

رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،

فاس – المغرب

من أوراق شاهدة

«واللّه حتى نخسر عليها حجة»!!

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

لم يدر بخلدي أبدا أنني سأعيش تفاصيل مقدمات انهيار خلقي بأعز بقعة وأشرفها، بقعة أمضى فيها المصطفى ﷺ أياما عصيبة، احتاج فيها إلى تلك الشحنة الربانية من الحكمة والرفق ليجعل الحجارة الجاهلية تشقق ويخرج منها الماء الزلال.

في البداية كنت ككل المسلمين الذين تلقوا خبر موت مئات الحجاج.. أضع أمام ناظري مجمل السيناريوهات التي تناقلتها وكالات أنباء ووضعت حولها استنتاجاتها بدءا بالمشروع الشيعي ومخططاته القديمة والجديدة في التمدد والمس بالتدبير السعودي لملف الحج ومرورا بالعدو الصهيوني ومكائده المغلفة بالاحتمالات الأكثر خداعا وتمويها لهدم المنظومة الإسلامية ووصولا إلى الإدارة السعودية و«اختلالات برنامج تنظيمها لضيوفها من الحجاج» كما جاء في قصاصات بعض الأنباء الخ .. لكن الأمور ستأخذ منحاها الأصلي المستند إلى القانون الرباني في تنزيل سنن العقوبة والجزاء حين يتم الزيغ عن الصراط السوي، وأنا أجلس إلى سيدة فاضلة عادت من الديار المقدسة بصدمة نفسية خلفتها في نفسها مجموعة من الأخلاقيات المنحرفة هناك.

حكت جليستي عن نساء بلباس خارجي هو لباس البيت الحميمي. حكت عن اللغو والتعري المكشوف لإحداهن لتغيير ملابسها وحين نبهتها جليستي قالت: «ياك حنا غير عيالات» .. حكت عن أثرة واستيلاء على الخيام وعنصرية مقيتة بين نساء ونساء وعن عنف لفظي بين الرجال وحوادث نشل وتحرش لرجال بنساء ونساء برجال .. تحدثت عن فوضى وأوساخ واستعراض عضلات أقوال وأفعال ..

وتذكرت ذلك الرجل الفاضل الذي جلست بالقرب منه حول مائدة غداء وحكى هو الأخر عن حاج يقول في معرض حديثه عن المناسك «كملت الزمر ديال عرفة» وفي نفس المائدة حكت صديقة عن حدث خصام عاينته هي بين نساء غاضبات حيث قالت إحداهن في غمرة حنقها لغريمتها «طلقوني عليها والله حتا نخسر عليها حجة».

حج بلا روح ومناسك بلا تقوى وشعائر بلا مقاصد ربانية. كانت جليستي في حالة من الانصعاق استعصى معها أن توافيني بالمزيد من الصور .. فهل كنت أحتاج إلى كل تلك المشاجب بدءا بالشيعة ومرورا بالمشجب الصهيوني التقليدي لأقبض على مفتاح فاجعة أحالت خير بقاع الأرض إلى مشرحة تنعق فيها الغربان وتكسر فيها الأنوف رائحة الجثث المتعفنة؟

وتذكرت قصة سبأ باليمن وأهلها من الموحدين وأرضها الوافرة الزروع والماء، وسدها العظيم وخيراتها الباسقة عن يمين وشمال «بلدة طيبة ورب غفور» حتى أن القطاف كان ثمارا دانية. وكان طريق أسفارهم يانعا بخيراتها، فلا يحتاجون إلى زاد، وكانوا يقومون برحلاتهم آمنين مطمئنين فأخذهم الغرور الشيطاني فاستبدلوا نعمة التوحيد بالشرك وغدوا عبدة للشمس، وبدأ ينتابهم الكفر بالنعمة، فسألوا الله أن يباعد بين أسفارهم وظلموا أنفسهم وجاء أمر الله جل وعلا فانفجر سد مأرب المنيع بفعل قوارض حقيرة أغرقتهم وشتتهم حتى إن العرب في وصف تمزقهم الأبيد صاغت مثلا غدا شهيرا فقالت «تفرقوا أيدي سبأ».

لقد كان جحود النعم سببا حاسما لسحب الخيرات ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(الأنفال: 53)..

ومن الجحود الفادح، هذه الحالة من التنافر والتباغض التي أصابت قلوب المسلمين الجدد حتى أنها لم تمنعهم من استعراض فنون حذقهم فيها بأعز البقاع.. وقد غدا هذا النقار بين المسلمين مدعاة لتفكه أهل الفرجة في حماقاتنا حتى قالوا في حالنا «إذا اجتمع خمسة صينيين كتبوا حكمة، وإذا اجتمع خمسة يابانيين اخترعوا آلة، وإذا اجتمع خمسة أمريكيين أخرجوا فيلما، وإذا اجتمع خمسة فرنسيين كتبوا كتابا، وإذا اجتمع خمسة عرب شكلوا خمس طوائف، وخمسة أحزاب، وخمسة قوانين، ويعلن كل واحد فيهم أنه الرئيس ودون جلسة نقاش واحدة تبدأ التحالفات ثم الخصومات ثم الكره ثم الفتنة ثم التكفير ثم استيراد الأسلحة ثم تبدأ المعركة...»

ولأن الحديث يطول، وأمواتنا بإذن الله شهداء عند ربهم ولسنا في معرض التعميم ولا حق لنا في تزكية أو تهمة والله أعلم بمن اتقى، فقط ونحن نستقبل مناسبة جليلة سطر فيها المصطفى معالم التشكل الشعوري النقي الجديد والاستواء على العود من خلال الهجرة النبوية وما حملته من توجيهات حاسمة للانتقال إلى حالة الطهر والاستقامة، ينتابنا الشعور بالتقصير التام في تنزيل إرث رسول الله ﷺ، وندرك بقلق إلى أي حد ساءت أخلاقنا..

أين نحن من قول المصطفى ﷺ (ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا)، ونحن كالقنافذ كل واحد منا يشهر شوكه في وجه أخيه؟ !

وأين نحن من قول رسول الله ﷺ للرجل الذي قال له: أوصني قال: (..لا تغضب..)؟!

أين نحن من قول رسول الله ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ومن يده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)؟!

ويطول الحديث في ذكر خيبات لا تدعونا بكل تأكيد للقنوط من رحمة الله ونحن نواكب حراك همم رسالية لرجال ونساء مخلصين تحفر في الصخر لتستقيم من جديد معالم الهجرة في الأنفس والآفاق، هجرة صاغ في ملامحها المغبشة المفكر جاسم سلطان كلمات عميقة ومتفائلة أدعوكم للتدبر فيها وكل سنة وأنتم بيقظة أنقى وصحو أرقى:

«الألم الموجود الآن فوق السطح، تحته تسير المياه التي تبحث عن إجابات وحلول جديدة».

الرقم 7 في القرآن الكريم

نعيش مع بعض أسرار الرقم سبعة في القرآن وفي الكون، ونتساءل هل جاءت كل هذه الحقائق بالمصادفة؟

اقتضت مشيئة الله عزَّ وجلَّ اختيار الرقم 7 :

هذا الرقم يملك دلالات كثيرة في الكون والقرآن وأحاديث المصطفى ﷺ. حتى تكرار هذا الرقم في كتاب الله جاء بنظام محكم. وهذا البحث يقدم البراهين على ذلك، فلا يوجد كتاب واحد في العالم يتكرر فيه الرقم سبعة بنظام مشابه للنظام القرآني. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية هذا الرقم وأنه رقم يشهد على وحدانية الله تعالى.

فعندما ندرك أن النظام الكوني قائم على الرقم سبعة، ونكتشف الرقم ذاته يتكرر بنظام في كتاب أنزل قبل أربعة عشر قرناً، فإن هذا التشابه يدل على أن خالق الكون هو منزِّل القرآن سبحانه وتعالى.

الرقم سبعة في الكون :

عندما بدأ الله خلق هذا الكون اختار الرقم سبعة ليجعل عدد السماوات سبعة وعدد الأراضين سبعة. يقول عزَّ وجلَّ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق : 12/65).

كل ذرة من ذرات هذا الكون تتألف من سبع طبقات إلكترونية بعضها فوق بعض، وهذا قانون ثابت في الكون كله، يشهد على وحدانية الخالق تبارك وتعالى!

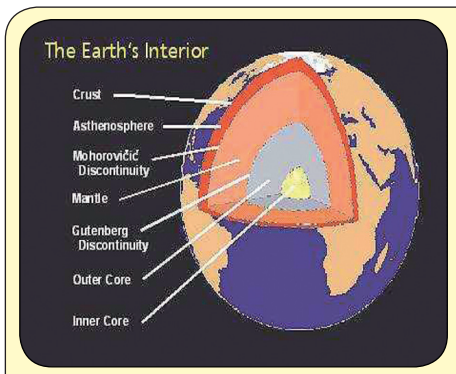

حتى الذرة التي تعد الوحدة الأساسية للبناء الكوني تتألف من سبع طبقات إلكترونية ولا يمكن أن تكون أكثر من ذلك. كما أن عدد أيام الأسبوع سبعة وعدد ألوان الطيف الضوئي المرئي هو سبعة. ويجب ألا يغيب عنا أن علماء الأرض اكتشفوا حديثاً أن الكرة الأرضية تتكون من سبع طبقات!

ومضة

دقيقة وقوف

قضى الليل نصفه في القطار.. لم تبق له إلا ربع المسافة ويصل العاصمة..

لم يتمالك نفسه وهو يرى مراقب التذاكر يمسك بتلابيب طفل مشرد.. تدخل محتجا:

. لِمَ تتكلم معه بتلك الطريقة؟ إنه طفل غير راشد...

أجاب المراقب:

. للمرة الثانية أضبطه يتسلل بدون تذكرة سفر على متن هذا القطار.. سأسلمه للشرطة ..

قاطعه الباحث:

. الشرطة؟! إنه طفل غير راشد..

. إني أعرف عملي جيدا.. الشرطة ستسلّمه إلى مركز لإيواء الأطفال في وضعيته..

تشبث الطفل بالمسافر متوسلا يختلق الأعذار:

. والله، عمّو، سأذهب عند خالتي في الرباط.. مللت حياة الشوارع.. ستعيدني إلى المدرسة ...

أدى عنه صاحبنا ثمن التذكرة.. أجلسه معه في مقصورة بالدرجة الأولى.. طلب له فطورا.. تبادل معه أطراف الحديث حول وضعيته.. وكيف لا وهو الباحث في شؤون الطفولة المحرومة..؟!

نام الطفل.. ذهب الباحث إلى دورة الماء.. عاد بعد ثلاث دقائق... صدم.. أخذ يصرخ... هرع المراقبون ورجال الأمن يسألونه عمَّ حدث؟!

كان القطار قد توقف لمدة دقيقة في محطة صغيرة بين الغابات.. تسلل الطفل حاملا معه معطف الباحث وحافظة نقوده وأوراقه الثبوتية وهاتفه وحاسوبه وبحثه الذي سيشارك به في مؤتمر هام.. ذلك البحث الذي استغرق منه وقتا طويلا وجهدا كبيرا في دراسة ظاهرة تشرد الأطفال...!

بقلم :
ذة. نبيلة عزوزي

أي رؤية للعمل الاجتماعي: الخدمات الصحية أنموذجا

د .كمال الدين رحموني

بعد عيد الأضحى المبارك بأيام ، وفي الأسبوع الثالث من شهر شتنبر الحالي، وقع حادث أليم تعرض له أحد الشباب اليافعين، ينتمي إلى حيّ من أحياء الهامش أدى إلى كسور على مستوى العمود الفقري والعنق، مما استوجب نقله إلى المستشفى الجامعي، وبعد تشخيص الحالة تبيّن أنها من الخطورة بمكان، وتحتاج إلى تدخل جراحي سريع مع توقعات نسبية بنجاح العملية. وجد الشاب نفسه بين محنتين كبيرتين:إحداهما إصابة شلّت حركته، والثانية واقعه الاجتماعي الهش، وليس له خيار سوى إجراء عملية جراحية بقيمة 15000.00 درهم، أصرّ الطبيب -للأسف- على تسديدها قبل الشروع في العملية، وإلا تُرك الشاب المصاب لمعاناته المزدوجة . استطاع أحد المقربين توفير ثلث المصاريف، وبقي الثلثان، والحالة تزداد سوءا، ويشاء ربك أن يهيئ للشاب المصاب ما لم يكن في الحسبان، وما هي إلا ساعات معدودة، وبعد اتصالات عفوية مع بعض الناس ممن عُهِد فيهم الخير بالمدينة، جاء الخبر السار فساق الله تعالى للشاب المصاب المبلغَ المتبقيَ. وكانت الخطوة العاجلة لتجاوز مرحلة الخطر التعجيل بإجراء العملية الجراحية، وقد كان ما أراد الله جل وعلا. هذه واقعة من بين عشرات الوقائع التي تحدث على الهامش، وتتكرر بصمت في غفلة من بني البشر، لكنها تطرح أسئلة مجتمعية كبيرة، من أبرزها واقع الخدمات الصحية التي تعد من الأوراش الكبرى التي تشتغل عليها الدولة، ويصاحب هذه الأسئلةَ سؤالٌ أكبر منها: إنه واقع الخصاصة الاجتماعية التي تلازم المجتمع، فتأتي مثل هذه الوقائع لإعلان ما استتر، واستفزاز العقل والنظر.

إن الناظر في الواقع الصحي للمواطن الضعيف لا يعوزه الدليل، ليستخلص أن التعاطيَ مع الخِدْمات الصحية لا يزال محدود الجدوى، بالرغم من الجهود المبذولة لتمكين المواطن من الخدمات الصحية، باعتبارها حقا يكفله الشرع ويضمنه الدستور. ولعل ما يحُدّ من بلوغ الطموح، هو غبشٌ في رؤية طبيعة الواقع الاجتماعي بإشكالاته العميقة وإكراهاته الموضوعية، ومن ضمنها واقع الفقر الذي يشمل عددا من الأسر المغربية، وكذا التكلفة الباهضة للفاتورة الصحية، إضافة إلى اختلال البنية الصحية المتمثلة في مواردها البشرية: كمّا وعددا، التزاما ومسؤولية، ومرافقها الصحية: بناياتٍ ومؤسساتٍ ، بالإضافةَ إلى ضمور المجتمعِ المدني، الذيِ ينبغي أن يشكل ثابتا من ثوابت الرؤية الاجتماعية باعتباره وسيطا بين الدولة والمجتمع.

إن الحاجة الماسة لرؤية استراتيجية للواقع الصحي، تترجمها أسئلة مُلحّة على الدولة، وعلى رجال الأعمال الذين يراكمون الثروات، كما تسائل المجتمع المدني بهيئاته المختلفة، خاصة منها ذات الاهتمام بالمجال الاجتماعي، بالإضافة إلى مؤسسات التضامن والتكافل ذات الصلة بقطاعي التشغيل والصحة. ولعل هذا الواقع الاجتماعي بتراكماته السابقة كان الحافز لخروج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية إلى الوجود قبل اثني عشر عاما، هذه المؤسسة التي انبرت لمعالجة الاختلالات الاجتماعية، من خلال مشاريعها التنموية، ومنها الصحية، ومن ثَمّ تعتبر المبادرة الوطنية للتنمية البشرية الداعم الرئيس لمؤسسات الدولة، لكنها في الوقت ذاته توجِّه نقدا ضمنيا صامتا لكل السياسات الاجتماعية السابقة. وإذا كانت عناصر الرؤية الصحية المرجوة متعددة الأبعاد والأوجه،فإن الإشكال الأساس الذي يحول دون الاستفادة من خدمات صحية عادلة ومستمرة، هو ضعف الدخل المادي للأسر خاصة حين تتراكم الحاجات الضرورية في مجتمع مغربي تصل فيه نسبة الفقر إلى 6.2% بحسب تقرير المندوبية السامية للتخطيط لسنة 2014. ولما كان من واجب الدولة -في إطار منظورها الاقتصادي وتوازناتها المالية وسياساتها الاجتماعية- أن تضطلع بمسؤولية الخدمات الصحية فإن سقف الإنجاز يظل -إلى جانب البرامج المتوقعة- رهينا بعامل الزمن من جهة، ومن جهة أخرى يظل في حاجة إلى دعم شعبي، مما يفرض نوعا من التآزر الاجتماعي لتمكين المواطن من الحد الأدنى من الخدمات الصحية، وهذه مسؤولية الدولة ومؤسساتها، ورجال الأعمال باستثماراتهم، والمجتمع بهيئاته المدنية، وتحديداً المجال الصحي.

من هنا نهمس في آذان محبي هذا الوطن، من أجل تجاوب مدني من خلال مبادرات إنسانية عقلانية وعلمية، بمنأى عن الارتجالية وردّ الفعل اللحظي،لتجاوز شُحّ الخدمات الصحية وضعفها، لتقاسم الأدوار، والتعبير من خلال هذه المبادرات عن صدق الانتماء للوطن وتجسيد المواطنة في أسمى تجلياتها، ومن أهمها:خدمة المجتمع من مدخل الصحة والعناية بالمرضى ذوي الحاجة، لتجفيف منابع اليأس في النفوس، وتمكينهم من لحظة سعادة قد تكون عابرة، لعلها تعيد البسمة، ومعها الأملُ بأن هذا الوطن الذي نعيش فيه جميعا، لا يهمل أبناءه ، وإنْ نسيهم في غفلة من الزمان، فإنه لن ينساهم إلى الأبد، ما دام في الوطن أناس نذروا أنفسهم لخدمة الناس، فاستأهلوا أن يحظوا بمحبة الله، بأعمال يحبها الله عز وجل، جامعُها: نفع الناس، فقد روى الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:»أحبُّ الناس إلى الله أنفعُهم، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل : سرورٌ تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كُرْبة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشيَ مع أخي المسلم في حاجة ،أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرا... ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يُثبتَها له، أثبَتَ الله تعالى قَدَمَه يوم تزِلُّ الأقدام ....» وصدق الحبيب.

حَلَفَ المُرابِط لن يزول رباطُه

شعر : ذ. محمد شركي

لا يسلم القدس الشريف من الأذى ... حتى يراق على مشارفه الدم
أين النفير؟ وأين من يغشى الوغى؟ ... أم أين من يحمي الحمى أو يعصم؟
عتبات قدس داسها دنس القذى ... من هود سامرة تجور وتلؤم
يا أخت مكة بوركت باحاتها ... في سورة الإسراء أنى تهدم ؟
أنى يشاد على صوامع هيكل؟ ... وسراج قدس لن يزول فتظلم
حلف المرابط لن يجوس خلالها ... صهيون مقترف الجرائم آثم
حلف المرابط لن يزول رباطه ... حتى تسيل دماؤه وتزمزم
حلف المرابط والرصاص مغيب ... طعن العدو بمدية ويدمدم
حلف المرابط لن يساكنه بها ... نسل الأفاعي رقشها والأرقم
حلف المرابط لن تنام عيونه ... أبدا وفيها غاصب يتنعم
حلف المرابط لن يذوق طعامه ... والقيد في يده سوار يؤلم
حلف المرابط لن يجود ببسمة ... والأم ثاكلة تنوح وتلطم
حلف المرابط لن يسامح عربه ... لم ينصروا مستنصرا يتألم
حلف المرابط لن يسامح قادة ... شغلوا بلهو والجهاد مذمم
حلف المرابط لن يكون مخلفا ... والقدس في ليل بهيم يسحم
حلف المرابط لن يموت موليا ... دبرا يكبر بالردى يتعمم
حلف المرابط أن يدك عدوه ... حجر يلعلع في الفضاء ويرجم
حلف المرابط لن يريم عرينه ... حتى يشاركه طعاما قشعم
حلف المرابط لن يطيب بطيبه ... حتى يقيم بجنة يتنسم
حلف المرابط أن يكون جواره ... حوض النبي المصطفى ويسلم
برت يمينك يا مرابط إنها ... من صادق أيمانه تتعظم
يا ليت شعري هل أقبل تربة ... وطىء الشهيد وقبره أتسلم

خروق في سفينة المجتمع

60ـ تضييع الأمانة

د. عبد المجيد بنمسعود

لا شيء في اعتقادي يعدل لفظ الأمانة أو مصطلح الأمانة في سعة مفهومه وقوة معناه، إذ ليس في وسع أحد أن يستبعد من مجاله الفسيح وما صدقه الواسع أي حركة أو سلوك، صغر أو كبر، مما تقتضيه سلامة السفينة واستقامة جريانها في المجرى اللاحب نحو شاطئ النجاة وبر الأمان. بل إنك لو تأملت مليا جملة من المصطلحات المركزية الكبرى المرتبطة بثقافة الإسلام وتصوراته القيمية العليا، لظهر لك جليا كونها مستغرقة فيه أو كونه مستلزما لبعضها أ و عديد منها، كالصدق والإخلاص، والرحمة والوفاء، على سبيل المثال لا الحصر، فهل يمكنك أن تجد إنسانا أمينا بالمعنى الحق للأمانة دون أن يكون صادقا أو وفيا ورحيما؟ ولك أن تستقري سلسلة من الفضائل التي يتوقف أمر استقرار الحياة عليها وتضعها في ميزان الأمانة، فإنك واجد لا محالة ارتباط كل منها وإياه بوشيجة من الوشائج المعنوية، بحيث تجد الجميع ينتمي إلى شجرة كبرى وارفة الظلال، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وتتجلى مركزية الأمانة لأنظارنا باعتبارها منبعا من منابع الخير، والاتصاف بخصالها والتشبع بمعانيها معقدا للبركة واليمن، إذا تصورت مجرى الحياة خاليا من إكسيرها ومحلولها، فلست تفتح عينيك حينها إلا على ركام من الخراب، أو على هياكل قد لا تخلو من بريق، ولكنها في حقيقة أمرها مسوسة منخورة آيلة إلى حطام. وهل نحتاج إلى التصور وواقع المجتمعات البشرية التي أنهكتها نقائض الأمانة ماثل أمامنا يلفحنا بمشاهده السيئة، وصوره الكئيبة الصادمة؟

لقد كانت الأمانة في ارتباطها بالصدق هي عنوان شخصية الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ، قبل البعثة وبعدها، إذ كان عليه الصلاة والسلام يسمى بالصادق الأمين. ولم يكن ذلك بالأمر الغريب، والحال أن رب الكون وخالقه سبحانه وتعالى، قد جعل من الأمانة محورا لوجود الإنسان على هذه الأرض، وميزانا لاختباره فيها، ومضمارا يتبارى طلاب الفوز والنجاة في بلوغ أرقامه القياسية، وفي بلوغ أرقى درجاته السامية. يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب:72). وإذا كانت الأمانة المعنية في الآية الكريمة هي الأمانة العظمى المتمثلة في طاعة الله والاستجابة لأمره، فإن تجلياتها اللامحدودة تشمل كل حركات الإنسان وسكناته، ولا يستثنى منها شيء . كما سبق أن ذكرت . بل وكل جزء من كيانه المادي والوجداني، مما يتطلب منه أن يكون في كامل اليقظة والاستعداد للتصدي لأي عارض من شأنه أن يشكل عائقا أو مشوشا في طريق الحفاظ على الأمانة في أي شكل من أشكالها أو تجل من تجلياتها. وإذا كان من معاني الأمانة «الوديعة»، كما هو مذكور في القواميس، فإن تأمل دلالات الوديعة في حد ذاته يكشف لنا عن إمكانية سحبها على شتى المواقف والمواضع، فالطفل في حضن والديه وأسرته أمانة بمعنى وديعة، والتلميذ في المدرسة بين أيدي معلميه وأساتذته وديعة وأمانة واجبة الرعاية والحفظ، وأفراد المجتمع أو الرعية إزاء من استرعوها من الرعاة والحكام أمانات وودائع يقع على عواتقهم حفظها ورعايتها، وصوت المواطن الذي يدلي به في استحقاق من الاستحقاقات، كيفما كان نوعه، أمانة ووديعة، المفروض أن يؤدي استعماله على الوجه المطلوب، وضمن بنية من المعطيات السليمة وفي ظل مشهد سياسي سليم وغير مختل، إلى حصول الصلاح والنماء، وإلى التطور الإيجابي في الأوضاع العامة للوطن، بينما يؤدي استعماله السيئ، إما بالإدلاء به زورا، أو بيعه لقاء ثمن يعتبرا بخسا وإن كان قوامه ملايين الدراهم، فما بالك إذا أعطي لقاء دراهم معدودات، في صفقة مهينة يفقد بها من يخونون أماناتهم وكرامتهم وإنسانيتهم.

إننا إذا تدبرنا أوضاعنا المؤلمة ومآسينا المتفاقمة على كل صعيد، وتخلفنا العام الذي يخترق عمق بنائنا الاجتماعي، لأدركنا عن يقين، أن أصل الأزمة إنما هو تضييع الأمانة بمفهومها الواسع، ومع ضياع الأمانة يضيع الأمن ويجتاح القلق والخوف كل مفاصل سفينة المجتمع، التي تتهددها الرياح الهوجاء من كل حدب وصوب. ولنا أن نتساءل عن حجم التربية على الأمانة التي يتلقاها أعضاء سفينة المجتمع في هذا البلد العزيز، في الأسر وفي التعليم والإعلام، بل وفي المشهد الاجتماعي والثقافي والسياسي العام، هل هو في المستوى الذي هو كفيل بحفظ أمن السفينة وضمان صلابة عودها وسلامة إبحارها وصحة اتجاهها؟ أم إنه من الضحالة بحيث يفتح المجال لخرق خطير تتسرب منه المياه للسفينة ويهددها بِشَرٍّ مستطير؟

فنحن إذا رجعنا إلى الحدث الذي يعيش المغاربة على إيقاعه وتداعياته، وهو حدث انتخابهم للمفروض أن يمثلوهم في المجالس الجماعية والجهوية في الرابع من شتنبر 2015، أمكننا أن نرصد جملة من الاختلالات تعود في صميمها إلى اختلال في إدراك الأمانة، أوفي نقص في التشبع بقيمة الأمانة واستصحاب جلالها وإشعاعها، ويمكننا أن نطرحها في صيغة تساؤلات:

هل تعكس نسبة الذين أدلوا بأصواتهم في الاستحقاق المذكور النصاب الكافي لشعب يستشعر مسؤولياته وخطورة الأمانة الملقاة على عاتقه في ظل عالم يموج بالمخاطر والتحديات؟

وهل يعتبر المقاطعون قوى حية تؤثر في مجرى التاريخ، أم قوى ميتة تفهم الأمانة والواجب بشكل مشوه مقلوب؟

وهل تعبر القوى السياسية المشاركة في الاستحقاق عن وجود حق راسخ في عمق الوطن؟ أم أن بعضها لا يعدو أن يكون أشباحا باهتة على هامش الوطن، وأن علتها المستعصية هي عيشها في الأوهام، وعدم وعيها بواقعها المنكود؟

هل تعبر الخريطة التي آل إليها الاستحقاق على مستوى الجماعات والجهات عن أمانة في حفظ أصوات الناخبين والمرشحين على حد سواء، وبالتالي في رعاية مستقبل الوطن وأمنه، أم أن إخلالا بمقتضيات الأمانة المقدسة قد اعترى تلك الخريطة بقدر من التشوهات، يقابله ويوازيه قدر مكافئ من الترديات والتراجعات؟

خلاصة القول أن خزان الأمة من الطاقة الذي لا ينضب معينه، هو تلقيح أفرادها ضد خيانة الأمانة، وإن أعظم وجه لتلك الخيانة هو توسيد الأمر إلى غير أهله، الذي حذر منه رسول الله ﷺ في قوله: «إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة» وصدق الله تعالى القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال:27 و28).

مجرد رأي

الانقلابيون في عيون الصهاينة ...

ذ: عبد القادر لوكيلي

... حتى أكثر الإسرائيليين تفاؤلا لم يستوعبوا حجم الخدمات العظيمة التي بات النظام الانقلابي في مصر يقدمها بكل تفان و اخلاص لبلادهم... خدمات لم تقدَّمها حتى أمريكا وهي الحليفة الدائمة والأزلية لهم...

في تحقيق صحفي قام به الصحفي الإسرائيلي «أمير نيفون» ونشره موقع «ولا» الاخباري، يخلص فيه إلى أن مستوى وحجم التعاون الامني والتنسيق السياسي بين إسرائيل وحكومة مصر الانقلابية وصل إلى حدود غير مسبوقة، بل وفاق جميع التوقعات الصهيونية الأكثر تفاؤلا... وهذا ما يفسر الشعبية الكبيرة التي أصبح يحظى بها قائد الانقلاب لدى النخب والشعب الصهيوني قاطبة، لدرجة أن «عاموس جلعاد» وهو أحد كبار الحاخامات اليهود وصفه ب «المعجزة» الإلهية التي حلت على الشعب اليهودي... وصدق الرجل وإن كان كذوبا: فقد حقق لهم النظام الانقلابي أمنية «شارون» الذي كان يتمنى أن يستيقظ يوما فيجد غزة وقد ابتلعها البحر، فها هي مياه البحر تغرق قطاع غزة عبر ما تبقى من الأنفاق في النهر وتتسبب في انهيار التربة وتلويث المياه الجوفية الخزان الوحيد لأهل غزة المحاصرين أصلا، وها هي الجرافات والمتفجرات تلتهم مئات المباني على الحدود مع غزة بعد قتل المآت من سكانها على الجانب المصري بتهمة الإرهاب وتهريب الأسلحة «لإرهابيي حماس» في غزة، وها هي كتائب القسام الجناح العسكري لحركة حماس توضع على قائمة الإرهاب ويتم اختطاف قياديين منهم بعدما سمح لهم بالعبور لتلقي العلاج في تركيا، ناهيك عن تعمد إغلاق معبر رفح طيلة أيام السنة تقريبا، بينما المعابر الستة التي تتحكم فيها إسرائيل تظل مفتحة باستثناء أيام أعيادهم أو في حالات خاصة...

أما مقابل كل هذه الخدمات فلا يعلمه إلا الله العليم الخبير والراسخون في علوم الخسة و خيانة الأمة والتنكر لثوابتها وقيمها العليا .. وإن كان بعضا من هذا المقابل قد ظهر من خلال الضغوط القوية التي باتت جماعة الضغط اليهودية «الإيباك» تمارسه داخل الكونغرس وأروقة الإدارة الأمريكية من أجل إجبارها على التراجع عن موقفها السلبي الأول مباشرة بعد الانقلاب الآثم على الشرعية وما استتبع ذلك من مجازر مروعة في ميدان رابعة والحرس والنهضة وغيرهم... يفهم ذلك من تبجح قائد الانقلاب بأنه في اتصال هاتفي شبه يومي مع رئيس الوزراء الصهيوني «ناتنياهو»...

ولله في خلقه شؤون وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بنبض القلب

قتل النبوغ المغربي

ذ أحمد الأشهب

رسالة مفتوحة إلى السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر

رحم الله العلامة المجدد عبد الله كنون و هو يحتفي بالعقل المغربي في مؤلفه الرائع النبوغ المغربي في الأدب العربي، والذي أثار به سخط الحماية الفرنسية التي كانت تسعى إلى سلخ المغاربة عن جذورهم العربية الإسلامية، لكن ما يشهده النبوغ المغربي في السنوات الأخيرة من طرف الجامعات والمدارس العليا ببلادنا يبعث الأسى والخوف على مصير أبنائنا النوابغ، الذين قضوا عمرا لاحبا وسنوات مضنية من الجد والتحصيل العلمي، حتى حصلوا على شهادة الباكالوريا بمعدلات جد عالية، أملا منهم في ولوج تخصصات يفجرون من خلالها طاقاتهم الفكرية والإبداعية، ليجدوا في النهاية كل الأبواب مقفلة في وجههم، نظرا للشروط التعجيزية التي أصبحت تفرضها هذه المؤسسات لولوج مدرجاتها

ففي الوقت الذي ترفض فيه مؤسساتنا العلمية استقبال تلاميذ حصلوا على الباكالوري بميزة حسن جدا، تتلقفهم الجامعات الفرنسية بأقل من هذا فما السر في ذلك

إننا نعيش معضلة تعليمية كارثية ونحن نقتل طموح هؤلاء الشباب وندخلهم في دوامة من الإحباط والتذمر الذي سيفقدهم الثقة في مستقبل هذا الوطن.

فحتى متى يستمر هذا النزيف الذي يفتك بعقول شبابنا النوابغ؟

أكثر من 5000 لاجئ روهنجي في جامو

قال رئيس وزراء الشطر الهندي من كشمير مفتي محمد سيد إن أكثر من 5000 لاجئ روهنجي بات يعيش في العديد من الملاجئ المؤقتة في جامو ووادي كشمير وجامو العاصمة الشتوية للبلاد بعد فرارهم من الاضطهاد في ميانمار.

وأكد سيد أن هناك حوالي 1219 أسرة روهنجية تضم 5107 أشخاص جميعهم يسكنون في منطقة جامو في أوضاع سيئة . وكثيرا ما توصف أقلية الروهنجيا المسلمة بأنها أكثر الأقليات تعرضا للاضطهاد في العالم وهي غير قادرة على الحصول على جنسية ميانمار بعد تجريدهم منها في عام 1982 بحكم تعسفي من حكومة ميانمار حينذاك. وقال أحد المسؤولين في جامو بحسب صحيفة هندية إن 4912 من اللاجئين الذين يعيشون في إقليم جامو يمتلكون بطاقات الأمم المتحدة بينما 186 شخصا هم من دون بطاقات . وتشير تقديرات في الهند إلى أن هناك أكثر من 36000 لاجئا روهنجيا يعيشون في الهند بعد حملة نزوح من ميانمار.

المجلس الأعلى للتعليم يقدم تصوره للنهوض بالبحث العلمي والابتكار

قال عضو المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي؛ عبد الكريم مدون؛ إن من بين مقومات النهوض بالبحث العلمي التي أقرتها رؤية المجلس، الرفع التدريجي من نسبة تمويل البحث العلمي إلى نسبة 1% في المدى القريب، وإلى 1.5% في سنة 2015.

وأوضح مدون الثلاثاء 13 أكتوبر 2015، خلال تقديمه لتصور المجلس للنهوض بالبحث العلمي والابتكار في منتدى وكالة المغرب العربي للأنباء؛ أن الرفع من تمويل البحث العلمي هو أحد أهم المقومات التي وضعها المجلس في أفق ترقيتها إلى 2% بحلول سنة 2030، مع تنويع مصادر تمويل البحث بمؤسسات التعليم العالي وجعله موجها بالأساس نحو البحث التدخلي.

وتحدث ثلاثة من أعضاء المجلس عن إجراءات تنمية البحث العلمي ومخرجاته بالجامعة المغربية وذلك عبر أربعة مقومات هي التكوين والتحفيز والتمويل والتقييم. وينص المقوم الأول على وضع برنامج من أجل توظيف وتكوين 15000 أستاذ باحث في أفق 2030.

واعتبر أعضاء المجلس أنه لابد من استثمار خبرة أساتذة التعليم العالي المتقاعدين وتجربتهم في التكوين والتأطير والبحث؛ وهو الأمر الذي كان الحسن الثاني قد بادر به مع المرحوم جسوس مطالبا أن يتحول إلى قانون منظم من أجل ألا يغادر الأكفاء الجامعات.

وأوضح عضو المجلس الأعلى أن هناك سعيا ضمن هذه الرؤية إلى تحقيق مزيد من الاستقلالية للجامعة المغربية، عبر توفير شروط ممارسة الحرية الفكرية والأكاديمية على صعيد الجامعات، وفتح المجال أمام الطاقات الابداعية في التأطير والتدريس والبحث والابتكار والتنشيط.

مكتب تنسيق التعريب ينظم ندوة دولية حول المعجم العربي المختص

انطلقت يوم الاثنين 12 أكتوبر بالمكتبة الوطنية بالرباط فعاليات الندوة العلمية التي ينظمها مكتب تنسيق التعريب، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، في موضوع: المُعْجم العَربي المختصّ وَدوْرُهُ في تَنمية ونَشر المُصْطلح العلميّ.

وعرفت الندوة التي استمرت مدة يومين، مشاركة معْجميين ومجَمعيين من السعودية ومصر والعراق وموريتانيا وتونس والسودان والأردن وألمانيا والمغرب متخصصين في الصناعة المعجمية.

وحسب الجهة المنظمة فإن الموضوع يأتي بالنظر إلى أن التوجه نحو مجتمع المعرفة يتأسس اليوم على جملة من المتغيرات التي تخص الصناعة المعجمية الحديثة، وصلتها بضرورة التفكير في وضع سياسة لغوية لكل القطاعات التقنية والحضارية العامة.

وأشارت الورقة المؤطرة للندوة إلى أنه تتحدد آفاق المستقبل اللغوي العربي بتعميق البحث في التنمية اللغوية، وإنشاء بنك مصطلحات موحدة عربية تيسّر تنميط المصطلحات وتقييسها، مع ضرورة تجديد منهجية وضع المعاجم وصياغة المصطلحات والاستفادة من التقنيات الحديثة والتجارب العالمية.

يذكر أن مكتب تنسيق التعريب، أنشئ بوصفه جهازا عربيا متخصصا، لتنسيق جهود الدول العربية في مجال تعريب المصطلحات الحديثة، والإسهام الفعال في استعمال اللغة العربية في الحياة العامة وفي جميع مراحل التعليم وكل الأنشطة الثقافية والعلمية والإعلامية.

الولايات المتحدة: مظاهرة مسلحة مناهضة للإسلام والمسلمين

عبرت الجمعيات والمراكز الإسلامية بأمريكا عن بالغ قلقها من تَبعات دعوة الجماعات اليمينية المتطرفة إلى تنظيم مظاهرة مسلحة مناهضة للإسلام والمسلمين خلال الأسبوع الجاري.

فقد دعا المنظمون إلى حمل السلاح واللافتات المعادية للإسلام وشعائره، وذلك طبقًا لما ذكره مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية.

وطبقًا لصفحة فسيبوك التي دعت إلى التظاهر، تبدو الشعارات تابعة لجماعة "المحافظين على العهد" التي طالبت أنصارها بالتظاهر في 21 منطقة مختلفة أمام مؤسسات المسلمين في مظاهرة بعنوان: "التظاهر العالمي من أجل الإنسانية".

وقد طالبت المراكز الإسلامية الحكومة بالتدخل الفوري لمنع هذه التظاهرات المسلحة التي تُنذر بتبعات سلبية خطيرة في ظل تزايد المواقف السلبية والعداء تجاه المسلمين؛

جامعة القاضي عياض بمراكش أول جامعة مغربية ضمن أفضل 800 جامعة في العالم

صنفت جامعة القاضي عياض بمراكش ضمن قائمة أفضل 800 جامعة في العالم.

واعتمدت مجلة "التايمز" الأمريكية في تصنيفها هذا الذي نشرته يوم الخميس، على مجموعة من المؤشرات التي تمثلت أساسا، في مؤشر الأداء التعليمي المرتكز على جودة التدريس، والبحث العلمي الرصين، نقل المعلومات والمعرفة، والصيت الدولي للجامعة.

وفي نفس السياق، تمركزت الجامعات الأمريكية والأوروبية في الصدارة، حيث حل معهد "كاليفورنيا" للتكنولوجيا في المركز الأول، متبوعا بجامعة "أكسفورد" في المرتبة الثانية، ثم جامعة "ستانفورد" ثالثا، وجامعة "كامبريدج" في المركز الرابع، متبوعة بمعهد "ماسوشيتس" للتكنولوجيا في المركز الخامس، وجامعة "هارفاد" في المرتبة السادسة، جامعة "برنينستون" سابعة، معهد "لندن" ثامنا، ومعهد "التكنولوجيا" بزيوريخ تاسعا، ثم جامعة "شيكاغو" في المركز العاشر.

وزارة التربية الوطنية : مذكرة إطار تعزز اللغات الأجنبية والتكوين المهني في التعليم المغربي

أصدرت وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني مذكرة إطار في شأن التنزيل الأولي للرؤية الاستراتيجية 2015 2030- من خلال تفعيل التدابير ذات الأولوية، وتحمل المذكرة رقم 15x099 بتاريخ 12/10/2015 تضمنت من بين ما تضمنته حافظة للتدابير ذات الأولوية وفق 9 محاور أساسية : اتجهت نحو:

- التمكين للغات الأجنبية وتقويتها في الثانوي والإعدادي والتأهيلي (فرنسية إنجليزية إسبانية) (التدبير رقم 3 ورقم 4)، وتدريس العلوم بها، وهو تراجع عن مسلسل التعريب ، وإقصاء للغة العربية من أن تكون لغة التحصيل والتداول والحفاظ على الهوية والانفتاح العلمي .
- التمكين للتعليم المهني والتقني لتمكين المدرسة المغربية من الاستجابة لمتطلبات سوق الشغل وتحديات الاقتصاد واليد العاملة المؤهلة(المحور 3، التدبير رقم 5 و6 و7 و 8 و9 + المحور 9)
- التمكين لتوظيف نظم المعلومات في تدبير التعلمات والحياة المدرسية.
- تعزيز نظام الحكامة والتدبير(المحور 7، تدبير 17 و18 و 19.

وغيرها من المحاور المتعلقة بالكفايات العرضانية والتفتح الذاتي، والتأطير التربوي، وتخليق الفضاء المدرسي مما اعتبرته المذكرة الإطار من الأولويات في مشروع إصلاح المنظومة التربوية 2015 – 2030

هولندا: توزيع أعداد كبيرة من الأناجيل على اللاجئين

ذكرت إذاعة "خيلدرلند" أن هناك أعدادًا كبيرة من الأناجيل توفرها رابطة "أوستربيك" في مقاطعة "خيلدرلند" الهولندية لتوزيعها على اللاجئين.

وعادةً تبيع الرابطة حوالي 20 إنجيلاً كل أسبوع، ولكن الآن سيتم توزيع أعداد كبيرة منها، وهناك طلب كبير على أناجيل باللغات الفارسية والعربية، والصومالية والكردية، والتيغرينية: وهي لغة يتحدث بها قسم من الإريتيريين والإثيوبيين.

ولا تقف الرابطة نفسها أمام أبواب مراكز اللجوء، كما تنصح عملاءها بعدم القيام بذلك.

ومعظم طلبات الأناجيل تأتي من منظمات كنسيَّة وأفراد، ومنظمات مَعنيَّة بالدعم الروحي؛

المصدر: شبكة الألوكة.

نصائح صحية

فوائد

أوضح الدكتور "زياد "أن ممارسة الرياضة بصفة عامة تغرز هرمونات معينة في الدماغ تساعد على تنشيط وتجديد خلايا المخ وخاصة كلما كانت التمارين الرياضية ممتد لفترات طويلة .ونصح "د زياد" بضرورة ممارسة الرياضة وعدم إهمالها، لأنها مفيدة للجسم، أما بالنسبة للتعب أو الإرهاق الناتج عن ممارستها في البداية، يؤكد أن هذا الشعور طبيعي ومع الوقت والتمارين يتعود الجسم ويصبح الأمر طبيعيا ،مع العلم أنه يمكن ممارسة التمارين الرياضية في المنزل أو في أي مكان فالحركة الكثيرة والمشي من التمارين المهمة والمفيدة .

وأكد الدكتور "محمد مجدي أستاذ الأعصاب بطب الأزهر" أن الرياضة تعد إحدى أدوات العلاج لكثير من الأمراض، فهي

الرياضة

تساعد على ترتيب وظائف الجسم الحيوية وأجهزته كالمخ والقلب والصدر مما يساعد على تنظيم الجسم نفسيا وعضويا.

بل حتى السباحة تساعد على استرخاء العقل والجسم معا، ويقول: إن العلماء وجدوا أن النوم بعد ممارسة السباحة يكون هانئا يشعر فيه المريض بالطمأنينة، أما المشي فهو أيسر وأفضل وأرخص الأنشطة الرياضية التي يمارسها الغني والفقير في كل الأعمار بدءا من الطفولة وحتى الشيخوخة، حيث يساعد على استرخاء العضلات والأعصاب كما يعطي الفرصة لاستخدام التأمل مما يرفع الناحية المعنوية والنفسية.

لآلئ وأصداف

يلتقطها د. حسن الأمراني

قصة مدينتين

أمام الدرك الذي آلت إليه الرواية العربية، في معظمها، حيث يغيب العقل والإيمان، وتحضر الشهوات، ويتوارى الواقع بكل آلامه وآماله، وتحضر الأوهام الزائفة، وكأن الكاتب العربي يعيش منسلخا عن أمته، وفي غيبوبة حتى عن وجوده الحضاري، أجد نفسي أفزع إلى بعض الروايات العالمية، ألوذ بها، بحثا عن الحق والجمال، إما بإعادة ما قرأت منها، وإما باكتشاف ما لم أقرأ. وقد مددت يدي إلى رائعة شارلز ديكنز: (قصة مدينتين)، فوجدت فيها ما يشبع تطلعاتي الفنية، وأشواقي الروحية. فهي تعالج واقعا شبيها بواقعنا العربي اليوم، من حيث المشاهد السوريالية المتمثلة في القتل الجماعي بدون سبب ظاهر، كما يحدث دائما في الثورات الدموية. فأحداث الرواية لها صلة ببعض الفرنسيين الذين لجأوا إلى بريطانيا إبان الثورة الفرنسية، ثم عادوا وقد نصبت المقصلة التي كانت تقطع الرؤوس بلا حساب. وقد ظن أحدهم أنه ناج من المقصلة، باعتباره نزيلا سابقا بسجن الباستيل الرهيب، إلا أن الأحداث تثبت ألا أحد ولا شيء يشفع لمن سبق عليه قلم المحاكم التي نصبها الحكام الجدد .. ولذلك كان تصوير بعض المشاهد كأنما هو ينقل لنا بعض ما يجري على الأرض العربية، من قتل عشوائي، الذي تنفذه إما الأنظمة الانقلابية، وإما الحكم الطائفي هنا وهناك، وإما بعض تنظيمات الخوارج الجدد، وكل ذلك يدع الحليم حيرانا. فلذلك يقشعر بدن القارئ وهو يتابع أحداث الرواية، لأنه يحس وكأن ديكنز تحول إلى شاهد يروي لنا ما يشاهده من مآس في الواقع العربي. فنحن نقرأ مثلا: (وكانت قد مرت أربعة أيام.. وشاهد فيها دكتور مانيت من القتل وإراقة الدماء ما لم يره في حياته)، (أنشأوا له محاكمة سريعة في ساحة السجن...وما هي إلا دقائق وقطعوا رقبته وعلقوها على نصل رمح طويل وسط الهتافات التي تشق الصدور). (عقدت المحكمة صباحا للحكم في قضية أربعين فرنسيا «خائنا»... وعندما مرت ساعة كان قد حكم على عشرين منهم بالإعدام وسط هتافات الجماهير المؤيدة والملوحة بالأسلحة المختلفة في أياديها).

وكما يحدث دائما، يساق الأبرياء والأبطال الحقيقيون إلى الموت، والغوغاء تهتف مؤيدة أحكام الطغاة المنتصرين، ولكن إلى حين. ألم يسوقوا إلى المقصلة دانتون، وهو أحد أهم مهندسي الثورة الفرنسية؟

ليس هذا فقط هو ما يستوقف القارئ العربي في هذه الأعمال العالمية، ولكنه الهدف النبيل الذي ترمي إليه، وخلوها من مشاهد الفحش والبذاءة التي تملأ روايات عربية تحصد الجوائز، مما يدل ليس على فساد الأدب فحسب، بل على فساد الحياة الثقافية التي أفسدت الذوق الفني والنقدي على السواء، وأنبأت عن وجود «مافيا» ثقافية تخدم الاستبداد، وذلك بالترويج للنماذج الهابطة، واتخاذها مثلا أعلى للمجتمع.

إن القيم التي يدافع عنها ديكنز هي قيم الحق والعدالة ونصرة المستضعفين، وكشف سماسرة الثورة وأجرائها. ثم التبشير بأن العدل في نهاية المطاف منتصر، لأن هنالك عالما آخر، يقتص فيه من الظالمين للمظلومين، فالعدل في كل الأحوال منتصر، إن لم يكن في هذه الحياة الدنيا ففي الآخرة، وذلك ما تنتهي به الرواية، كما يكشف لنا هذا الحوار بين شخصين يقادان إلى المقصلة، وهما كارتون الذي ضحى بنفسه مفتديا شبيهه دارني، ممثلا أروع صور الفداء، وفتاة رقيقة الملامح جمعتها معه الأقدار في العربة التي نقلت المحكوم عليهم إلى المقصلة، حيث تقول الفتاة، وقد أنست به، رغم قتامة المشهد:

(ـ لماذا يفعلون بنا هذا يا مسيو شارل؟

ـ إنه قدرنا.

ـ لو كان قدري أن أموت فداء وطني لكنت راضية... ولكن بماذا سيستفيد وطني إذا مت الآن؟

وسالت دمعة على خد كارتون إشفاقا على الفتاة وهو يقول:

ـ إنّ الله يدخر لنا الحياة الأخرى.

وحانت منه التفاتة لها فنظرت إليه الفتاة قبل أن تشهق وتقول:

ـ أنت لست مسيو شارل.. من أنت؟ أنت تشبهه إلى حد كبير.

..... هل اخترت أن تحل مكانه؟ أنت شجاع يا مسيو... أنت شجاع وأريد أن أستمد منك تلك الشجاعة.

وزاد ضم يد الفتاة وهو يقول لها:

ـ لا تخافي... إنه أمر بسيط جدا .. كلها دقائق وسنكون في العالم الآخر حيث لا ظلم هناك .. سينتهي كل عذابك بعد دقائق ..

ـ لم تقل لي ما اسمك.

ـ عندما نتقابل في العالم الآخر سأخبرك بكل شيء عني .. انتظري فقط بضع دقائق.

فتبسمت له وقالت وهي تهز رأسها: وهو كذلك.)

هذا اليقين الذي يسقي به كارتون قلب هذه الفتاة، وهو متوجه إلى الإعدام، مهم جدا في زرع قيم الصبر على المكاره، ومواجهة المصير بابتسامة، كابتسامة هذه الفتاة الصابرة، عندما استيقنت أن العدل لا بد متحقق في اليوم الآخر، وهو يوم أقرب مما يظن الظالمون. إن الحياة الدنيا تصبح بلا معنى إذا لم يكن هنالك إيمان باليوم الاخر. وستكون عبثية إذا كان الطغاة والمفسدون في الأرض سينعمون بما استباحوه، ثم لا يكون هناك جزاء أخروي يقتص منهم. وتلك الابتسامة التي علت محيا الفتاة تذكرنا بابتسامة الشهيد سيد قطب، وهو متوجه إلى حبل المشنقة، تلك الابتسامة التي وصفها بعض الشعراء فقال:

ما نسينا أنت قد علمتنا

بسمة المؤمن في وجه الردى

إلى أن نلتقي

بين «سكول» و«سكويلا»

كل شيء أجنبي له جاذبيته، خاصة إن كان آتيا من جهة الغرب، فالعديد منا مولعون باستهلاك ما يَردُ من هناك، حتى ولو كان أحذية عفّى عليهاَ الزمن، أو عجلات أكل عليها الدهر وشرب،إلى أن غدت بلادنا وكأنها مطرح نفايات لكثير مما يأتي من هنا أو هناك، مما يشكل -في معظم من الأحيان- خطرا على الصحة الجسدية والفكرية لكثير من المواطنين.

كل ما هو آت من وراء الحدود له جاذبيته، سواء أتعلق بالملبوسات والمأكولات والمشروبات، أم بالأفكار والمعتقدات، أم باللغة وطرائق التعبير والمخاطبات،، فالكل جذاب، أو هكذا يريد له أصحابه، وتزداد جاذبيته إن كان اسمه مُغْرقا في الفهم طنّانا في السمع.

من هذا القبيل ما نشاهده من أسماء المدارس الخاصة، والمحلات التجارية، والمقاهي ونحو ذلك، التي أصبحت تحمل أسماء طنانة غريبة لعُجْمتها، حتى ولو كانت هذه المنشآت في زوايا أحياء بعيدة، وأزقّة غير مطروقة، أو في أماكن لا يعرف فيها المرتادون الحرف اللاتيني أصلا.

نعم جل الأسماء أصبحت غريبة عن تراث الوطن، ديناً وقِيَماً، لغة وحضارةً. فأصبح بذلك الحرف العربي غريبا في الأزقة والدروب، بعد أن بات كذلك في المؤسسات والإدارات، وكأننا في أرض لم تعرف حضارةً إسلامية متميزة، في أرض لم تكن فيها «القرويين»، أول جامعة في العالم وأقدمها على الإطلاق، «القرويين»: التي كان لها الفضل الكبير في الإشعاع العلمي والحضاري للوافدين من كل الآفاق حتى من ديار الغرب..

غابت القرويين، -أو كادت- اسماً ومسمى، وقبلها غابت مدارس كبرى كانت مشعة بنورها في سماء مدن المغرب، منذ الفتح الإسلامي، إلى أن انتشرت بشكل لافت للنظر في عصر المرابطين -وهم الدولة الأمازيغية- واستمرت مزدهرة على مدار التاريخ، إلى أن خفتَ نورها مع قدوم المستعمر، لتُباد مع حركة التغريب الحالية، فلا تكاد تعرف لا اسما ولا رسما،، ولولا جهود المخلصين من أبناء هذا الشعب الأبي لاندثرت بالكامل.

ذهبت تلك الأسماء، وذهبت أسماء العلماء والفقهاء والرجالات الكبار الذين صنعوا التاريخ وأسسوا أبجدية العلوم وأقاموا أعمدتها وبنوا الحضارة الإسلامية الإنسانية في مغرب العالم الإسلامي ومشرقه،، ذهبت تلك الأسماء وحلت محلها أسماء غريبة لمدارس تنبت هنا أو هناك كما ينبت الفطر، أسماء ربما لا يعرف أصحابها دلالتها..

يتكرر في العديد منها لفظ «سكول» بشكل لافت للانتباه، وتشكل لازمة لألفاظ أخرى تكون أسماء لأعلام أجنبية، أو تحمل دلالة محفزة من «عليا» و «مستقبل» و «نجاح» ونحو ذلك، والتعبير دائما يكون باللغة الأجنبية طبعا.

أكيد أنه ليس هناك أي مشكل في تأسيس هذه المدارس وإنشائها، فهي تدل -في حالة الجودة والتمسك بالهوية - على يقظة أبناء هذا الوطن وإسهامهم في التنمية، كما أنه ليس هناك أي مشكل بالنسبة للغات الأجنبية كيفما كانت، فاختلاف اللغات والأعراق من دلالة الخلق على الخالق «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ»، فجمع الله تعالى في سياق واحد بين آيات خلق السموات والأرض -وهي آيات عظيمة - وبين اختلاف الألسن والأعراق ليدل على عظمة دلالاتها عليه سبحانه. كما أن تعلم هذه اللغات سبيل لتعارف الشعوب «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا».. ليس المشكل في ذلك، وإنما المشكل هو هذا الاستلاب الذي أصبح يغشى الكثير من البصائر، ويُغشي العديد من الأبصار، حيث أصبحت المرجعية هي مرجعية الآخر، وكأنه لا حضارة لنا ولا تاريخ. ورحم الله ابن خلدون حين قال: «إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه و نِحلته و سائر أحواله و عوائده).

ذلك أن الفرق واضح بين تعلم اللغات وإتقانها، وفي مقدمتها لغة الدين والوطن والهوية والتاريخ والحضارة، وبين الاستلاب اللغوي والفكري.

لا أقول أنْ لو افترضنا أنا وضعنا بدل هذه الأسماء أسماء الصحابة والعلماء والفقهاء والأدباء والشعراء ممن أنجبتهم حضارتنا ماذا سيحدث، ولكن أقول مثلا: لو افترضنا أنه بدل (سكول) وضعنا كلمة (سكويلا) ماذا سيكون رد فعل أصحاب الشأن؟ وماذا سيكون حال الزبناء المتلقين؟؟ طبعا سيستحضرون الدلالة التقليدية للفظة التي تشير بحمولتها السلبية حينما كانت تستعمل في جل مناطق المغرب للتعبير عن المدرسة الحديثة، بدل المسجد أو (المسيد)، مع العلم أن كلمة (escuela) الإسبانية التي عُرِّبت إلى الدارجة المغربية (السْكْويلة)، وكلمة (school) الإنجليزية تحملان نفس المعنى تقريبا، لكن لكل حمولته عند القوم.

معنى هذا أن العبرة عند العديد تبدو في الشكل لا في المضمون، وكأنّ المثل المغربي الذي يقول (زَوَّقْ تبِيعْ) يعبر عن هذه الحالة بوضوح.

أظن أنه لا يختلف اثنان من العقلاء في أن العبرة بالجوهر لا بالشكل، وإنْ كان الشكل مطلوبا لتحسين الجوهر أكثر، فنحن أُمَّة الحسن والجمال، كما أنّ القضية ليست محصورة بين ما تحمله كلمات «سكول» و«سكويلا» أو «مدرسة» أو ما ماثلها من أبعاد، ولكن القضية، كل القضية، فيما يعرفه تعليمنا من تذبذب وابتعاد عن الهوية اللغوية والحضارية للأمة، وانتكاس للمستوى المعرفي والعلمي مما سيؤدي إلى إفلاس تعليمي وتربوي لا قدر الله تعالى.

د. عبد الرحيم الرحموني